مع الدكتور انس داود في :

الرؤية الداخلية للنص الشعري

بقلم الدكتور محمد سعد حسن

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

« الرؤية الداخلية للنص الشعري » هو عنوان الكتاب الذي صدر عن مكتبة عين شمس ، للدكتور انس داود ، وطبع طباعة فاخرة في دار الجيل الجديد للطباعة ، والكتاب من القطع المتوسط ، ويقع في مائة واثنتي عشرة صفحة .

ويبدو ان فكرة الكتاب قد راودت الدكتور أنس اثناء قيامه بالتدريس في كلية الآداب ، جامعة قسنطينة بالجزائر ، ولذلك جعل اهداءه الى طلبته في تلك الكلية ، الذين شاركوه عناء تلك الصفحات (ص ٥) .

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمات في المنهج (ص ٧) ، وفي الشعر والشعر الرفيع (ص ١٢) لينطلق الى الناحية التطبيقية على ذات المنهج ، فاختار قصيدتين للشابي هما : ارادة الحياة (ص ١٥) ، وتحت الغصون (ص ٢٩) ، ثم تحدث عن تجربة الحب عند الشابي (ص ٤٧) ، ليعرض بعد ذلك لقصيدتي : « البلبل الساكت » للشاعر القروي (ص ٦٢) ، و « ترجمة شيطان » للعقاد (ص ٧٠) ، واخيراً ياتي الى قراءة في شعر ناجي (ص ٨١) ، وقراءة في معلقة امريء القيس (ص ١٠٨) ، وعندها ينتهي الكتاب .

يشير المؤلف في المقدمة الاولى التي جعلها في المنهج الى تاثر دراسة الادب عندنا بالوثبة العملاقة التي احرزتها الدراسات الاجتماعية والنفسية في العصر الحديث ، وبتأثير العوامل الاقتصادية في تكوين المجتمع ، فالعقاد في دراسته عن « ابي نواس » قد ركز على ما ارتآه مصدر ازمته النفسية . وهي اصابته بالنزعة النرجسية ، وبين اسباب هذه العقدة اجتماعيا واسريا وعضويا ، عارضا لبعض آثارها في شعره .

وفي كتابه « التعريف بشكسبير » ركز على دراسة البيئة مهتديا بعلم الاجتماع .

كما استخدم رجاء النقاش في كتابيه عن « ابي القاسم الشابي » وعن « محمود درويش » ذات المنهج مفرقا ومطيلا .

ومن راي المؤلف اننا لم نخرج من كل تلك الدراسات بمعرفة تذكر عن الفن الشعري عند « ابي نواس » او « شكسبير » او « ابي القاسم الشابي » او « محمود درويش » .. ما هي خصائص الفن الشعري عند اي منهم ؟ ما هي مكونات الرؤية الابداعية عنده ؟ وما الآفاق النفسية التي يحلق فيها ؟ وطريقته الخاصة في تكوين الصورة الشعرية ، وتوظيف الموسيقى ، ودلالة المعجم الشعري عنده وغير ذلك مما يعتبر دراسة في صميم النص الادبي ، الذي هو الغاية الحقيقية للنقد الادبي .

ويقوم المنهج الذي يريده المؤلف على الاستفادة فحسب من العلوم الانسانية في توجيه النص واضاءته ، وعلى الاستفادة من المعرفة ببيئة الشاعر ، وطبيعة عصره ، والوان المشكلات والقضايا التي واجهها على المستويين ، الشخصي والاجتماعي .

وخدمة النص الادبي — عنده — انما يتاتى من طريق دراسة العلاقات الداخلية بين الالفاظ والصور ، والرؤية الكلية داخل هذا النص ، وتاتي المعرفة بالدراسات الانسانية لتضيء الطريق امام الدارسين للتعرف على دلالات النص ، والقدرة على عرض ابعاده .

وعلى الرغم من ايمان المؤلف بان هذا المنهج يكاد يكون جديدا على البيئة العربية الا انه يرى ثمة بذورا له في كتابات الدكتور طه حسين ، وبخاصة في كتابه « حديث الاربعاء » ، وفي كتابات الدكتور محمد مندور ، في مرحلته النقدية الاولى ، التي يضمها كتابه « في الميزان الجديد » وفي كتابات غيرهما من النقاد التاثريين في النقد الادبي الحديث .

وتلك النزعة التاثرية تختلف — في راي المؤلف — عن المنهج الذي يدعو اليه ، لانها تستند الى احساس ذاتي بالنص في الاغلب الاعم ، بينما يستدعي المنهج الذي يدعو اليه معرفة واسعة بالعلوم اللغوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والى اطلاع واسع على اساطير الانسانية الاولى ، وآدابها الشعبية ، مع الوقوف عند الحدود التي رسمها لدور هذه العلوم في هذا المنهج ، وهي خدمة النص الادبي ، واضاءة مختلف جوانبه ، والكشف عن طبيعة علاقاته الداخلية ، او بعبارة اخرى منهج « الرؤية الداخلية للنص الادبي » ، وهو منهج يدعو الى سبر اغوار النص ، وادراك تياراته الخفية ، التي تتراءى خلف نقاب من المستوى الظاهري للنص الادبي .

وفي المقدمة التي جعلها في الشعر والشعر الرفيع ، نرى المؤلف مشدودا الى الشعر الرفيع دون سواه ، مؤكدا ان الشعر الذي يغنيه سوف يعود كما بدأ صلاة فطرية حارة ، يكتشف بها الانسان ذاته امام الكون ، ويناجي قواه الغامضة ، وهو مغمور الوجدان في حميا الضراعة .

وعنده ان خرافة « المعنى » سوف تتلاشى الى حد كبير في تذوق الشعر ، ثم يفرق بين الفكر والمعنى الذي يعنيه ، ويبين ان الفكر سيظل عاملا مهما في اعطاء الشعر ركائز عميقة من اتصاله بجوهر الحقيقة ، واما المعنى الذي يقصده فذلك التفسير الخارجي للشعر ، وسيظل الفكر بمثابة التيار الداخلي العميق ، الذي يعطى للتجربة الشعرية آية غوصها ، وتكاملها ، وتفتحها على جوهر الوجود (ص ١٢) .

وعنده ان شعر المعنى هو ذلك الشعر ذو البعد الواحد ، الذي يمس سطوح الاشياء ، اما شعر الرؤية فهو شعر التجربة الوجدانية الحارة ، والمليئة بالاستيعاب والتكامل ، والملتحمة مع جوهر الحقيقة ، النابعة من صفاء الرؤية الباطنية ، والتي تقع ــ بالحدس ــ بين الواقع والخيال على « الممكن » الانساني والكوني ، ومن ثم تلتقي مع الرؤية الاسطورية للحياة والوجود .

وفي المجال التطبيقي ارتكز المؤلف ــ فيما يتعلق بشعر الشابي ــ على النسخة المطبوعة من الديوان في تونس عام ١٩٦٦ م ، لانه مدعوم بتواريخ انشاء القصائد ، مما يساعد الباحث على ملاحظة تدرج الشابي ، وتدرج معجمه الشعري والنفسي على السواء ، وان لم تخل تلك الطبعة من الاخطاء المطبعية ، بيد انها اخطاء لا تغيب عن فطنة القارىء وذوقه الرهيف بحال .

وانطلاقا من تاريخ قصائد الديوان ، تمكن المؤلف من ملاحقة الشابي في مراحله الشعرية التي اجتازها ، فهناك مرحلة « محاولة الصياغة الشعرية » ثم « مرحلة القدرة على الصياغة الشعرية » التي قفز منها الشاعر الى مرحلته الاخيرة ، وهي التي استطاعت موهبته ان تعبر فيها عن قدراتها الفذة ، وان تكتشف التواصل بين مشاهد الطبيعة واسرار النفس ، وان تفتح حوارا طويلا ومتكررا في شعر الشابي مع « الشعر » كخلاص للروح من عذاب الحصار في هذا الوجود ، وان تفتح حوارا آخر مع المجتمع مليئا بالغضب على نقائضه ، والاهابة به الى المثل العليا ، والثورة على الظلم والاستبداد ، وهذه هي المحاور العميقة في شعر الشابي .

في قصيدة « ارادة الحياة » للشابي ، التي عرض لها المؤلف في المجال التطبيقي للمنهج ، ندرك احدى ثمار تلك الدراسة ، فمن خلال تحكيم « منهج الرؤية الداخلية » في تلك القصيدة ينجح المؤلف في رد تهجمات المستشرق الفرنسي « جاك بيرك » ومن لف لفه على اللغة العربية ، التي راى فيها انها لغة هبوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها تفتقد العفوية والتلقائية .

فهذه القصيدة وان كانت ذات منزع وطني ، الا ان قدرة الشابي على منح لغته فيها تلقائية اللغة ، وعفوية التعبير . والقدرة على الايحاء ــ في الوقت الذي يتطلب الشعر الوطني فيه الجهارة والمباشرة ــ قد ابطلت كل دعوى ضد هذه اللغة العريقة .

ونختار من تحليل المؤلف لابيات القصيدة ما اشار اليه بخصوص بيتي الشابي اللذين يقول فيهما :

وما هــو الا كخفق الجناح	حتى نما شوقها وانتصر
فصدعت الارض من فوقها	وابصرت الكون عذب الصور

حيث يقول : « لقد عرفت العربية : وما هي الا غمضة عين .. وما هي الا لحظة ، ولكن موهبة الشابي كانت تدخر هذا التعبير الموفق « وما هو الا كخفق الجناح » ، الوثيق الصلة بعالم الطبيعة ، الذي تذوب فيه القصيدة ، والمتصل بتلك الخفة الطائرة ، والتي توشي هذا الجزء من القصيدة بنفضة البعث ، وهكذا يتم التوافق بين التعبير الجزئي ، والمضمون الكلي للقصيدة .. في ذلــك الجزء التحويلي منها ، حيث نتوجه بعده الى دعوة الى الحياة ، والانطلاق والاغتراف من منابع الضياء ، مباركة مــن الربيع .. مبشرة بالخلد في نسلها المدخر » (ص ٢٦) .

ولم يفته ان ينبه على اكبر عيوب الشعر عند الشابي ــ من خلال تحكيم المنهج ذاته ــ وهــو ذلك التفصيل الواسع ، ومحاولة الاستقصاء الذي تشوبه في كثير من الاحيان شائبة الاسهاب ، ورصد الجزئيات ، والبعد عن التركيز ، وعــدم التقاط الصور القليلة ، ذات الدلالات المتعددة .

ويرى ان هذا العيب ربما يكون قد وصل الى فن الشابي عن طريق عواطفه المشبوبة ، وعن ايمان بالبث الذاتي في حميا الانفعال .

ولما اسقط المؤلف ــ مــن خلال تحكيم منهجه في القصيدة السابقة ــ القول بأن اللغة العربية لغة هبوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها لغــة تفتقد العفوية والتلقائية ، حاول في معزوفة « تحت الغصون » للشابي ايضا ان يحسم القول في الفكرة القائلة بأن « اللاوعي » او العقل الباطن يرفد الناقد ، كما يرفد الشاعر الخلاق في ابداعه سواء بسواء ، وهي الفكرة التي اثارها الاستاذ مصطفى السحرتي في كتابه « النقد الادبي مــن خلال تجاربي » وثار عليها الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي اتضح من لهجته الغاضبة انه كان يخشى ان يتحول النقد الادبي عن مساره العلمي الى متاهات (اللاوعي) .

واذا كان المؤلف قد واءم بين وجهتي نظر الاستاذين الجليلين الا اننا نحس بتمسكه بالدعوة الى الاستعانة بالحدس او بالاستشفاف او باستغراق (اللاوعي) في كل تحليل عميق لابداعة شعرية ، غير انه يوجه النظر الى اخذ الحيطة والحذر ، لاننا نتحرك في اطار لغوي ، والاطار اللغوي اشبه بالشاطىء الذي يعطي لنا صورة

البحر ، التي تضطرب فيها بينها المويجات ، ولكن ما ان تتجاوزه حتى تضيع بردا .

في قصيدة « تحت الغصون » نظل نصغي لتلك المعزوفة حتى تتكشف فيما يشبه الحدس ان « القرار » فيها هو « الحزن » !!

ويعرض المؤلف للمراحل التي مرت بهما ظاهرة « الحزن » عند الشاعر ، واسباب تلك الظاهرة ، مسترشدا بقصائد الديوان المطبوع في تونس ، عارضا الى بوارق الامل التي لمعت في خيال الشابي ، ثم انطفات مخلفة وراءها حجبا كثيفة من الهموم والاحزان ، كاشفا عن محاولاته الجادة للهروب من مواجهة حزنه الذاتي ، مبينا انه لا يكاد يبتدي مرحلة جديدة من الامل حتى يدخل في مرحلة اخرى من الالام والاحزان .

كان المجتمع هو المسؤول عن كثير من الالام التي انتابته ، فلقد حاول الشابي ان يكسر توقعة « الحزن » حياته الخاصة ، واصبحت تلك المؤثرات الثلاثة « الحزن » بـ « الحب » ولكن « الجنون » و « الظلام » تنزا فجأة الى و « الجنون » و « الظلام » هي الايقاعات الخفية في معزوفة « تحت الغصون » .

اما من تجربة الحب عند الشابي فيحاول المؤلف من خلال حديثه عنها ان يكشف من ابعاد العلاقة التي تربط الرجل بالمراة ، مشيرا الى ان تلك العلاقة على تعدد اطرافها ، وتنوع مظاهرها هي اهم مشكلات الفن في كل العصور .

وقد اختار من بين قصائد الشابي في الديوان قصيدتي : «الجمال المنشود» او «الى عذارى افروديت» ، و « طريق الهاوية » اللتين راى فيهما — من خلال تحكيم المنهج — ان الشابي كان يبصر الجمال ويصوره ، ويفكر فيه تفكيرا متخلفا ، ولكنه لا يجربه ولا يعانيه ، ولا يدخل مع المراة في علاقة ما .

وشعر الشابي في المراة قد مر بعدة مراحل : مرحلة الحب كذكرى ، وبكاء على فقيدة الطفولة ، ومرحلة النظرة الى المراة من خلال توجيهات المجتمع والرواسب الوراثية المتخلفة ، الا ان شعره في تلك المرحلة الاخيرة كانت له سلبياته الخاصة ، التي تتبع اهمها من اعتبار المراة كائنا غير اجتماعي ، وتجريده من ملابسات الاحياء ، والنظرة اليه من خلال مثاليات الجمال في الوجود ، فالمراة في شعره كائن غريب .

وفي المرحلة التالية ، وهي مرحلة الاعجاب نحس بالمراة وهي تصنع في شعره ما تصنع الاعاجيب ، ولذا تخطاها الى مرحلة اخرى هي مرحلة النداء والرغبة في الاستمتاع ، ولكن المراة التي تظل موصولة بالاشياء الغامضة « السحر » والمثالية الرفيعة « النور والعطر مثلا » لا تكون العلاقة معها في حس الشابي الا نوعا من تقديم القرابين .

ولا ريب ان في النظرة الى المراة على هذا النحو تصورا في فهم المراة وحقيقة وجودها — كما يرى مؤلف الكتاب .

وعلى كل فقد وصل الشابي في قصائده : «الساحرة» و « الحاني السكرى » و « تحت الغصون » الى مرحلة التكامل الانساني مع المراة ، مما يكشف عن انصهار الشاعر في بوتقة « الرومانتيكية » التي مجدت الحب ، وعطفت على الخاطئات ، واعتبرت الحب اساسا للحياة ، وشريطة للارتباط بين الرجل وشريكة عمره ، فان خلت حياتهما من الحب كانت حياتهما اثما وخطيئة .

ولا تزال في الكتاب مادة ثرية تحتاج الى وقفة اخرى ، وقبل ان القي القلم من يدي احب ان انوه بالاثار الحميدة التي تنتظر من وراء تطبيق هذا المنهج ، والتي ترتقي بدراسة النص الادبي ، وبالدراسات الادبية والنقدية على وجه العموم .

ونحن لا نشك في ان المقالات التي كتبها الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة « الثقافة » القاهرية حول المتنبي في باب « قضايا .. وملاحظات » تتفق في جوانب كثيرة مع هذا المنهج ، وان اختلفت التسمية عند الباحثين الجليلين ، وسوف نعمل على تجلية القول في هذا الموضوع في مقال آخر بعون الله .

وهناك — فوق هذا كله — بعض الملاحظات النقدية ، التي قد تكون محلا للاختلاف مع المؤلف ، وكلها ملاحظات طفيفة على وجه العموم ، لا تنال من قدر العمل الذي قدمه المؤلف على صفحات هذا الكتاب ، وارجو ان يتسع لها صدر استاذنا الدكتور انس ، الذي نحمل له في نفوسنا كل تحية وتقدير .

القاهرة — محمد سعد حسن

رسالة مجهولة من خليل المطران الى صبري السربوني

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

بين ما عثرت عليه السيدة الفاضلة منى محمد صبري في مخلفات ابيها رسالة قيمة بعث بها خليل مطران الى الدكتور محمد صبري السربوني عام ١٩٤٤ يوجز فيها رايه في كتاب السربوني عن امرىء القيس ، وهو باكورة سلسلة الشوامخ الرائعة ، وقيمة الرسالة ترجع الى ان مطران اثبت فيها رايا في نظم الشعر وخاصة الجاهلي منه ، وراي خليل مطران في الشعر له مكانته المالية ، خاصة انه من اكبر شعراء العربية في عصورها الحديثة ، اما القيمة الاخرى للرسالة فانها تضمنت ستة ابيات في تقريظ كتاب السربوني لا اظن انها جمعت في ديوان الخليل ذي الاجزاء الاربعة .

وهذه المناسبة التي ننشر فيها رسالة الخليل الى صبري السربوني تدعونا الى الحديث عن العلاقة الوطيدة بين الرجلين منذ بواكير هذا القرن ، فقد كتب صبري ترجمة قصيرة لمطران وانتخب بعض قصائده التي تدل على سمو مكانته الشعرية وذلك في كتابه « شعراء العصر » الذي ظهر الجزء الاول منه عام ١٩١٠ والثاني عام ١٩١٢ .

وفي عام ١٩٢٢ كتب خليل مطران مقدمة بليغة لكتاب صبري السربوني « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » اشار فيها الى مكانة صبري العلمية والادبية ، ونبه على صدق وطنيته وتضلعه في الكتابة التاريخية باسلوب جديد ، ومما ورد في تقديمه « .. على انه ليس هنا مكان التقريظ للاستاذ صبري باكثر من الالماع الى ما له من المنزلة التي كسبها بواسع عرفانه وصدق وطنيته معا ، وانما احب قبل الشروع في الكلام على محاضرته التي اجده حين يحررها مؤرخا مدققا صافي الذهن شامل النظر للحوادث عجيب الفطنة للمتماثلات منها جوهرا وان تخالفت عرضا ، ان اعيد على ذهن من يقرا هذه السطور شيئا من نفثات قلمه ادبيا محض اديب » ثم اورد فقرات من مقال له عن دقات الساعة .

وتتوطد الصلة بين الرجلين على مدار الايام ، وعندما فارق خليل مطران دنيانا الى دار البقاء حزن السربوني عليه حزنا شديدا ، وظل يذكره في مجالسه ويؤكد على شاعريته في بحوثه ويدافع عنه « بحماسة قد تخرجه عن الحلم » على حد تعبير الاستاذ وديع فلسطين وعندما اقيم مهرجان لتكريم حافظ ابراهيم في يوليه ١٩٥٧ ألقى الدكتور صبري محاضرة طويلة عن عصر حافظ اشار فيها الى مكانة مطران الراسخة لا بين شعراء عصره فحسب بل بين شعراء العرب في القديم والحديث ووضع قصيدته في حرب طرابلس الغرب في مكان رفيع الى جانب قصيدة ابي تمام « السيف اصدق انباء من الكتب » وقال الدكتور صبري « انه اذا كانت قصيدة ابي تمام « السيف اصدق ... » اكبر قصيدة حماسية في العصر العباسي فان قصيدة مطران في حرب طرابلس اكبر قصيدة حماسية في العصر الحديث بل انه يوجد بين القصيدتين نسب يؤلف بينهما » .

ولم يكتف الدكتور صبري بهذا وفاء لصديقه الكريم وانما قام بعمل كبير يستحق عليه التبجيل والتكريم فقد اصدر كتاب (خليل مطران اروع ما كتب) عام ١٩٦٠ وجمع فيه مقالات مطران النثرية من « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » و « الاهرام » و « مجلة مصر الحديثة » و « سركيس » و « الهلال » وكلها مجلات وجرائد قديمة يرجع بعضها الى عام ١٩٠٠ مما جعل اكثر من جيلين لا يعرفون شيئا عن مطران ، وحتى الدراسات التي كانت تصدر عن الخليل لا تقف طويلا لتحليل كتاباته النثرية لعدم توفر ذلك لديهم ، وهذا هو الكتاب الذي يوصل الينا النثر المطراني ويصلنا بشعره فهو مكمل له متآلف معه ، ويمكن القول ان كتاب « خليل مطران اروع ما كتب » هو الجزء الخامس من ديوان الخليل « فالكاتب هو الشاعر والشاعر هو الكاتب » على حد تعبير السربوني ، او كما قال العقاد « ان مطران الناثر كمطران الشاعر » وهذا الكم من المقالات المطرانية كان لن يجمع الا بعد عناية كثيرة مصدرها نفس السربوني التي تشتمل على خصال كريمة .

ويبرز هذا الكتاب عدة نواحي في حياة مصر ورجالها وما كان يجري من احداث فيها في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، فيتعرض الخليل للحياة الاجتماعية بالحديث عن الاصلاحية او سجن الاحداث والمراة الجديدة وتعطيف الحكومة السنية على اهالي احدى المديريات التي اصابت الآفة محصولها الزراعي ، ويشتمل الكتاب ايضا على الناحية الفكرية ، ويضم بين صفحاته مادة نقدية هائلة ، يرجع اليها الباحثون في معرفة راي الخليل في شعراء عصره والسابقين عليه من امثال البارودي واسماعيل صبري وشوقي وحافظ واليازجي والبكري والرافعي وعبد الرحمن شكري وابي شادي ، ويقف الكتاب ايضا في كثير من فصوله على احداث مصر السياسية وما قام به رجالها فيحدثنا عن عرابي والثورة

العرابية ومصطفى كامل والبارودي ولا يغفل الكتاب الناحية الفنية فيسهب الحديث في الموسيقى العربية ومطربيها من امثال عبده الحامولي وابراهيم اللقاني ومحمد عثمان .

ودور الدكتور صبري السربوني في هذا الكتاب ليس عمل الجمع والرواية لنصوص متناثرة هنا وهناك ، ولكنه يوضح امورا تفتقر الى الايضاح ، ويناقش في المقدمة آراء كبار الكاتبين والذي تأثر بعضهم بآراء المستشرقين فيوقعهم في تناقض وخطأ ويأخذ عليهم عثرات ، وتكشف هذه المقدمة عن دراية كاملة بنقد الشعر ومذاهبه ، والنثر ومدارسه المختلفة ، فاذا انتقلنا الى فصول الكتاب ومادته الفينا صبري يناقش الخليل في كثير مما كتب ويقوم بتصحيحات واجبة بعضها لغوي والآخر تاريخي ، فمن التصويب اللغوي رواية مطران في فصل « بلاغة العرب » « ...... ويحمل ذلك قدمان كحرف اللسان » ويرى الدكتور صبري ان هذا التعبير خطأ والصواب « ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان » لا كحرف اللسان كما روى مطران ، ويقول صبري في توضيح ذلك « الحرف هو الطرف والحد ، ولا معنى لتشبيه القدم بطرف اللسان ، الحذو الموازاه ، وقد استعملت الاعرابية هذه الكلمة استعمال مالكة لنواصي اللغة تريد ان القدمين صغيرتان محصوبتان في دقة على مثال اللسان وهذا اروع تصوير على لسان العذارى » ، وهذا التصحيح يدل على دقة النظر والتروي في القراءة والمقدرة اللغوية العالية ، فهو لا يشك في الرواية فقط وانما يأتي باللفظ البديل الذي يستقيم معه المعنى مع التعليل والتبيين .

اما التصحيحات التاريخية فنضرب لها بهذا المثل يقول مطران في فصل بعنوان « محمود سامي البارودي » « ... فمن استقصاء السوابق حصل لدينا ان اثارة الفتنة لم تكن من مذهب محمود سامي البارودي » ثم يقول « ... ان حماقة عرابي ورعونة اعوانه الآخرين هما اللتان اضرمتا النار في القطر وافضيتا بالنتيجة من الاصلاح الى الافساد ، ومن الوفاق الى الذبح والجزر » . وفي فصل آخر كتبه مطران عن عرابي يقول « ولئن كان عرابي قد اهدى وادي النيل جملة الى الانكليز الحاليين فيه الآن وعليه تبعة هذا الاهداء في الحاضر والمستقبل فانني قد سمعت بين الاصوات المرفوعة للتقذف فيه اصوات كثيرين حملهم التملق وطلب المصلحة الذاتية على اهداء البلاد الى الانكليز قطعة قطعة فأي هؤلاء عرابي » .

هذه بعض نصوص مطران عن عرابي وثورته الوطنية وليس خافيا فيها اتهام عرابي بالخيانة واثارة الفتنة في البلاد واهداء مصر والسودان الى الانكليز ، وعين اليقين ان عرابي لم يقم بهذا الدور ولم يهمل صبري السربوني هذه العثرة المطرانية فكان لا بد من وقفة يوضح فيها الامر ويعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فقال في تعليقه على هذه النصوص « ان الثورة العرابية لم تكن فتنة ، كانت ثورة وطنية قومية وليست حماقة عرابي واعوانه التي ادت الى الفتنة وانما « دسائس الدولتين — يقصد انجلترا وفرنسا — والرجعية المصرية وعلى راسها توفيق » .

وهكذا لم يقتصر دور السربوني في هذا العمل على جمع المتناثرات ، وضمها في كتاب متلاحق الصفحات ، بل قام ايضا بالشروح والتعليقات ، وتصحيح الاخطاء والعثرات . او كما وصفه الاستاذ العقاد حين قال « يعتبر من كتب الجمع والرواية ، كما يعتبر من كتب النقد والتاليف » .

وقد لفت صدور هذا الكتاب انظارَ الادباء والنقاد فدبج فيه العديد من المقالات في مصر وخارجها باقلام العقاد ووديع فلسطين وحسن كامل الصيرفي وجيلي عبد الرحمن . الا ان هؤلاء الذين تعرضوا لهذا الكتاب بالنقد والتقريظ لفتوا نظر السربوني في غير عنف او تجريح الى قطع نثرية لمطران لم يجمعها في هذا الكتاب لتلافي ذلك مستقبلا وقد اشار العقاد الى كتاب « مرآة الايام في ملخص التاريخ العام » وكتاب مطران عن الدكتور شميل كما كشف وديع فلسطين عن قطع نثرية اخرى لمطران مثل مقدمة كتاب « ذكريات السودان » ليوسف نحاس وكتاب « الفلاح » ليوسف نحاس ايضا والذي ترجمه خليل مطران الى العربية عام ١٩٢٦ « وكتب له مقدمة نثرية بليغة كانت تستحق الاثبات في كتاب الدكتور صبري » كما اشار الى محاضرة خليل مطران « عن اللغة العربية وذخائرها الادبية قديما وحديثا » حيث اثبتها الدكتور صبري ملخصة من مجلة المقتطف عام ١٩٣٠ مع ان هذه المحاضرة موجودة بنصها الكامل في مجموعة محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣ سنة ١٩٥٤ . واذا كان لنا من تعليق على ما قاله الاستاذان الجليلان فهو ان الدكتور صبري كان يعرف كل هذه الكتابات المطرانية وقد رايتها في مكتبته واستثنى من هذا نص محاضرة « اللغة العربية وذخائرها الادبية قديما وحديثا » ولم يكن قصده في كتابه جمع كل آثار خليل مطران النثرية وانما قصد الى جمع روائعه ، او ما اعتقد هو انه رائع ، وواضح من عنوان الكتاب « اروع ما كتب » لا كل ما كتب ، ولهذا صرف اهتمامه الى جمع مقالات اولى بالاشارة ، واعلى في العبارة ، وادخل الى النفوس ، واجمع للفائدة ، وقد تكون هذه القطع النثرية التي اشار اليها العقاد ووديع فلسطين من روائع مطران ونفائسه النثرية ، الا ان لكل اديب ذوقه الخاص به وتقديره للاشياء ، ويقيني ان صبري السربوني لم يعرض عنها لقلة معرفته بها ولكن لانها لم توافق مزاجه ، وعلى اي حال فهذه الاشياء ليست نقيصة في الكتاب الا اذا كان غرض المؤلف هو الحصر لا الاختيار .

ونكتفي بهذا الحديث عن العلاقة التي دامت ما

غجرية العينين

شغفي بحبك فوق مـا اصف   لله ذاك الحـب والشغف
غجريـة العينـين ، والهفي   ان كان يجدي ، بعدك ، الهف
كـذب الألـى جحدوا تاوهنا   وبكـل هـدب ادمـع ذرف
والعين ، ان ذكرت وان نسيت   في الذكر والنسيان لا تكـف
غجريـة العينين ، مـا ذبلت   ازهار جنتنا ، كمـا وصفوا
مـا روضة ظمئت ولا رويت   الا وعنـدي الروضة الانـف
احبابنا ، هـل ضـاء كوكبنا   ام عـاد ذاك الضوء ينكسف
انـروح والاطيـاب ذائعـة   ونؤوب ، لا اطيـاب ترتشف
احبابنا ، مـا كان مـن دنف   فمقلتـي الخاطـر الدنـف
من راح يأتزر الهوى ، ترفا   كتم الهوى ، فوشى به الترف
لو كنتم كالناس ، مـا عتبت   نفس شجاها خافـق طـرف
لكنكم فـوق الورى ، فانـا   منكـم بكـم اقبلـت انتصف

فوزي عطوي

يقرب من اربعين عاما بين مطران والصيروني وانتجت ادبا رفيعا يتسم بالجلال والسمو ، لنثبت نص رسالة مطران :

« حضرة الصديق الكريم الدكتور محمد صبري بك »

بعد التحية والاكرام ..

الداء الذي ساورني في هذه الايام عاقني عن اداء واجب الشكر لما اتحفتني به من التحفة الغالية واعني بها النسخة من كتابك « الشوامخ » .

وما زلت الى هذا اليوم غير قادر على بذل اي مجهود فكري يعتد به غير انني بوجه اجمالي موجز ارى ان الشعر كلما اتصل بالفطرة كان من الفن الاصيلٌ وكلما بعد عنها افضى الى التعمل وهو فن آخر اي فن الصناعة ، وشتان بين الاصل والنقل وبين الابداء والمحاكاة

الم تر الى شعر هوميروس كيف بقي عند الفرنجة بمنزلة الينبوع الصافي الذي استقى منه جميع ادبائهم على اختلاف مواطنهم ومذاهبهم واهوائهم ونزعاتهم .

ولقد تكلف الفرنجة مـا تكلفوا ليفهموا هوميروس وليقتبسوا من لغته القديمة المجهولة ما اقتبسوا ونحن لم نتكلف ولا نتكلف شيئا لنفهم امرىء القيس واضرابه من ايام الجاهلية فيغيبون عنا ونحكم عليهم لا لهم .

ولولا انك جئت تفهمنا معاني امرىء القيس ولولا الدكتور طه حسين بك وما جهد ليشرح به آيات الشعر الجاهلي الصادق النسب ولولا آخر كتاب للاستاذ عباس محمود العقاد في جميل بثينة لبقيت كنوز الشعر الجاهلي بعيدة عنا ناخذ منها عن الاجانب ما ناخذ ولا نفقه ان لها عندنا اصلا كريما جديرا بان نعنى به .

بعد كتابة مـا تقدم على علاته اوجه اليك ثنائي الخالص عليك بابيات جرت على قلمي حين فرغت مـن مطالعة كتابك وهي :

بعـد الف وبعـد بضع مئـات ، نصفت عبقرية الضليل
نفى الستر عن جلال امرىء القيس بسفر من البيان جليل
رد صبري الواحـه فتجلت ، مـن خفاء آيات فـن جميل
واذا الحسن ند عنه حديث ، طلب الحسن في العتيق الاصيل
آفـة الفن جهله كيـف والاعلام تطوى مـا بين جيل فجيل
انمـا الراي مـا ابنت وهل ابلغ ممـا اقمته مـن دليل

وفي الختام اكرر للاستاذ الكريم حمدي واهدي اليه ازكى التحية مع الاحترام .

١٩٤٤/٤/١٨   المخلص : خليل مطران

وكان من الممكن ان تطوى هـذه الصفحة الادبية الشائقة ، لولا حرص السيدة منى محمد صبري على الا تضيع مثل هذه الرسالة ، ونقدر وعيها الناضج بقيمة الرسائل الادبية ، وما تحققه مـن نفع كبير في مجال الدراسات والبحوث ، ونتقدم لهـا بالشكر على حسن ظنها بنا ، وتسليمها الخطاب لنا لنشره على صفحات مجلة « الاديب » الغراء .

القاهرة   احمد حسين الطماوي

الى الله تعالى

هذه القصيدة من ديوان نفحات شامية المعد للطبع حاليا

عدنان مردم بك

آياتك المثلى بكل مكان نطقت شواردها بكل لسان
تلك الروائع لم تكن بخفية اشراطها(١) الا على العميان
كم في السماء ثواقب وعوالم جمعت من الاحسان كل معان
اغوارها الزمن السحيق قراره ورحابها الابد البعيد الداني
اهلت مسارحها بمبغوم(٢) الصدى وعزيف انسام ورجع حنان
درج الزمان بحوضها في غابر طفلا ، واطبق دونها بجران
والنور دون شعابها متدفق متنوع الانغام والالوان
والطهر حيث نظرت حشو اديمها مما نيم في الافلاك من ادران

والشمس آيتك التي من دونها حار اللبيب وعي كل بيان
احسانها وسع البرية سيبه وصنيعها اربى على الاحسان
وشعاعها بعث الحياة سخيه دون الثرى بمفاوز(٣) وجنان
لبست بها الدنيا مطارف فتنة وتبرجت بقلائد العقيان
والافق هلل باسما لما انجلى قتم الظلام وماس كالاشوان
هزت جوارحه نوازع صبوة للنور يقطع غربها بسنان
فادار عين مدله ، اجفانها كحلت بنفض لواعج الحرمان
والشمس ما بين السهول وفي الذرى نشرت بيارقها بكل مكان

والبحر يجار بالدعاء مكبرا لعلاك في سر وفي اعلان
ناداك من شغف ولم يفغر فما ودعا ولم تنبث له شفتان
اشواقه الغصص التي لا تأتلي اشجانها مشبوبة النيران
وحنينه الاوجاع ينهش غربه دون الصدور بمخلب الحيوان
اطباقه كالليل ليس لغورها حد ، وتطرف دونها العينان
يطغى ويعصف صاخبا ومجلجلا ويلج في الاعراض والطغيان
سعة يحار بها الخيال غيرتمي متعثرا بهواجس الجبران
وينوء عجزا عن دقائق غوره عقل الاريب وفطنة الاذهان

والليـل في الآفاق مـد جناحـه ... متبتـلا كتبتـل الرهبـان
انداؤه الذكرى ، تـأرج عرفها ... وتساقطـت انـداؤه كجمـان
في صمته عظة الحوادث اعربت ... بلسـان صـدق مشرق وبيـان
وسكونـه متحـرك ، ووقـاره ... مـلأ النفوس وهز كـل جنان
بلـغ النهاية في عميـق سكونه ... ببدائـع جلـت عـن التبيـان
قتـم(٤) ترامى في سحيق غربه ... متدفقـا كتدفـق البركـان
غطـى البسيطة صبغه بمطارف ... مطموسـة الازرار والاردان
واحالها بحـرا سحيقـا غـوره ... اغضت لـه الابصار عن اذعان

اوليس في الانسان ثـم شواهد ... تغنـي عـن التدليـل والبرهان
اودعت في الانسان شيئا معجزا ... مـن فطنـة ودرايـة وبيـان
وجعلت فوق الارض ، منه خليفة ... ينهـي علـى الاهواء والعدوان
اغـواره ليـل تلاطـم غربـه ... وبغربـة الضـدان يأتلفـان
جثم الاذى في الصدر ينفث سمه ... نـارا ، ويوقد جامح الاضغان
وخلقت فيه القلب يخفق للرؤى ... بجنـاح طـير دائـم الخفقـان
آتيتـه سحـر البيـان وحكمـة ... اودعتهـا في الذهـن والوجدان
ورفعتـه لـما نفخـت بقلبـه ... وسكبت فيـه مشاعر الانسان

لغز الحياة على المدى مستغلق ... دقـت معانيـه علـى الاذهـان
حـار الاولى في سرها فتخبطوا ... في دامـس للشـك والكفـران
وهمو ، بمـا ذهبوا اليه ولم يزل ... بمـا ابرموا ضربا مـن الهذيان
الروح شعلتك التي استودعتها ... في الـذر(٥) والانسان والحيوان
تسمو ، فتجتاز السماء اذا صفت ... وتسف حتى الوحل من اضغان
وارى الحيـاة تألقـت بسنائهـا ... وسما القرين بهـا على الاقران
جسم الفتى الصلصال، والروح السنا، ... شتـان بيـن الـروح والجثمان

ابصرت بالوجدان ما غشيت له ... مـن غفلة عيني ومـن نسيان
ورايت في (سيناء) مشبوب السنا ... بمشاعـري ولمستـه ببنانـي
وبدا لي (الاسراء) في غسق الدجى ... فهزجـت لـلاسراء كالسكـران
حـب لذاتك صنتـه بجوارحي ... ورعيتـه بمشاعـري وحنانـي
اهواك ما وسع الفؤاد من الهوى ... واطاق من برح الجوى جثماني
واراك في الاصباح نورا ساطعا ... ينهـل بالنعمـى وبالاحسـان
واراك في جوف الظلام محبـة ... في مقلـة وسنى وثغـر هاني

---

(١) اشراط : اعلام . (٢) جيشوم : له صوت رخيم . (٣) مفاوز : جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها . (٤) قتم : جمع قتمة الغبار . (٥) الذر : الصغار من النمل والنسل .

دمشق ... عدنان مردم بك

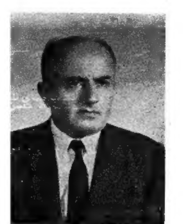

وديع ديب

حكاية الشعر العربي

بقلم وديع ديب

* * *

جاء في كتاب تاريخ الادب العربي لاحمد حسن الزيات « ان لفظة شعر العربية ماخوذة من لفظة « شير » العبرية » فاستوقفني هذا القول طويلا ، ورحت اتساءل كيف يمكن للزيات ان يوفق بين قوله هذا ، وبين قوله : « العرب اشعر الساميين فطرة ، وابلغهم على الشعر قدرة ، لاتساع لغتهم للقول ، وملائمة بيئتهم للخيال ، وصفاء قريحتهم ، وسذاجة عيشهم ، وقوة عصبيتهم ، وكمال حريتهم ، فهم بين الصحراء والسماء ، في فضاء شاسع يملأ الذهن والنفس خيالا وجلالا » .

ثم عدت الى نفسي فقلت : لعل الزيات عندما اخذ بهذا الراي ، كان متاثرا ببعض المستشرقين الذين لا يرغبون في ان يكون للعرب اي فضل في اي فن من الفنون او في اي علم من العلوم .

ان كلمة شعر في لغتنا العربية ، لفظة مصدرية من فعل شعر اي احس بالشيء وعلم به . وعندما يقول احدنا : ليت شعري يقصد بذلك ليتني اعلم . وهل كان الشعر شيئا غير الاحساس والعلم ؟ ثم تطور مدلول الشعر الى معنى الشوق والحنين الى منازل الاحباب ، والذكريات الجميلة ، والتطلع الى الاماني البعيدة .

ثم ان كلمة الشعور في واقعها المادي ماخوذة من الشعر الذي يعلو راس الانسان والحيوان . ذلك ان الانسان عند الاحساس بالخوف الشديد . يقف شعر راسه ، كما تنتابه قشعريرة عذبة ، عند مشاهدة الجمال الباهر ، وسماع الصوت الساحر .

واذن فالشعور الوجداني ، ليس بعيدا في واقعه ، عن الشعر الذي يزدان به الراس البشري وبصورة خاصة راس المراة الحسناء التي قد تحتجب وراء فرعها كما تحتجب الشمس وراء الغيوم التي ترقى اليها على اجنحة من الشعاع الذهبي . وفي هذا يقول الشاعر :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

ومما هو معلوم ان بعض الحيوانات والحشرات ، تتحسس مخاوفها ورغباتها ، بشعرات معدودات ، مما ينبت حول العين او الفم او الاذن . فكانما هي تستعين بها على السمع والبصر .

وآية القول فان الشعور ليس مقصورا على الانسان دون الحيوان ، او على امة دون سواها . جاء في كتاب العمدة لابن رشيق ، ان عمر بن الخطاب ، سال كعب الاحبار قائلا : « هل تجد ذكرا للشعراء في التوراة ؟ » فاجاب كعب : « اجد في التوراة قوما من ولد اسماعيل اناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الامثال ، لا نعلمهم الا العرب » .

ومن المعلوم ايضا ، ان القبيلة من العرب ، كانت اذا نبغ فيها شاعر ، تقيم الولائم والافراح وكانت نساء القبيلة تلعب بالمزاهر ، الى غير ذلك من اسباب الفرح ، على تقدير ان هذا الشاعر سوف يذود بلسانه ، عن احساب القبيلة وسوف يخلد مآثر ابطالها ويعمل على نشر مكارمها في البدو والحضر .

فهو من هذا القبيل اشبه شيء بوزير الاعلام في ايامنا هذه . لذلك كان للشعر في الجاهلية وما بعدها ، مكانة عالية ، بدليل تلك الاقوال المأثورة التي تنسب لرجالات العرب الافذاذ وعلى راسهم النبي العربي الكريم الذي يقول : « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة » . وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب . وقال معاوية : الشعر اعلى مراتب الادب .

الخيمة والشعر

جاء في تعريف الشعر لابن رشيق ما يلي : ان البيت من الشعر ، كالبيت من الابنية ، قراره الطبع ، وسمكه الرواية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى . ولا خير في بيت غير مسكون . وقال ابن خلدون : الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة ، المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي . ويشترط في كل بيت من القصيدة ان يستقل بغرضه .

يستخلص من قولهما ، ان البيت من الشعر ، يكون عامرا بالمعنى الذي يشتمل عليه ، كما تكون الخيمة عامرة

باهلها . من هنا جاء قول النقاد : هذه قصيدة عامرة الابيات . وكاني بالقصيدة حي من احياء القبيلة . واكاد اجزم بانها ما سميت قصيدة الا لانها مطلب القاصد .

وما بيت القصيد ، بحسب رايي المتواضع ، سوى ارفع ابياتها مبنى ومعنى . فكما ان اعلى خيمة في الحي الواحد ، تدل على وجاهة صاحبها ، هكذا فان ارفع بيت في القصيدة يدل على وجاهة المعنى .

لذلك فقد قيل لنصف البيت « مصراع » على اعتبار انه باب القصيدة ومدخلها . وما اجمل ما يقوله الفرزدق في هذا الصدد :

وخير الشعر اكرمه رجالا — وشر الشعر ما قال العبيد

ويقول المسعودي في كتابه جواهر الادب : ان من حق المعنى الشريف ان يكون في اللفظ الشريف . ففي قول الفرزدق والمسعودي ، ما يشير الى قدسية الكلمة من حيث هي شعور نبيل ، وايحاء يستهدف الخير والجمال .

الحجاز ونجد

في هذين البلدين من الجزيرة العربية ولد الشعر وترعرعت اللغة العربية . فان الدور الذي قامت به الحجاز بالنسبة للادب العربي ، دور جميل جليل . ففي بواديها ولدت اللغة ، وفي سوق عكاظها نمت وترعرعت وامتدت ظلالها وارفة الى كل واحة من واحات الجزيرة .

ذلك ما كان منها في العهد الجاهلي ، وقد تعاظم دورها خطورة وجلالة بالاسلام يوم اصبحت مكة بيت الله الحي ومنارة للهدى ، واصبح القرآن الكريم في بيانه الرائع ، هدف كل متادب وشاعر . على ان الشعر في هذا العهد الاسلامي بقي على بنائه التقليدي وبقيت اللغة على صفائها وسلامتها . وقد اعتصمت بالبيان القرآني ، وبالواحات العربية ، من حيث ان اللكنة الاعجمية لم تستطع التسرب اليها ..

ومما هو معروف ان النبي العربي الكريم استرضع في بني سعد ، وقد اخذ الفصاحة منهم . ولقد كان الادباء والشعراء يقصدون قبائل نجد والحجاز من اجل التمرس بالفصاحة والبلاغة .

اما دور نجد فيتمثل في الشعر الجاهلي على اكمل وجه ، ففي هذا البلد العربي ولد الشعر العربي وعقدت له راية البيان في كل مكان . وكان له في الكعبة المكانة المرموقة . فقد كان سدنتها في الجاهلية يحتفظون بالقصائد العامرة لكبار الشعراء احتفاظهم بالاعلاق الثمينة والجواهر الكريمة .

من اجل ذلك عرفت تلك القصائد بالمعلقات . هذا ويلاحظ ان كبار الشعراء في العصر الجاهلي كانوا من النجديين ، واما من كان منهم من الحجاز او اليمن فكان لا يلبث ان يستقر به المقام في واحات نجد من حيث ان مناخها يساعد على التجلي والابداع وربما على الحرية بما يتفق ومزاج الشعراء . فعلى بساط الرمال النجدية الممتدة الى حيث تتعانق السماء والارض في الآفاق البعيدة ، يطل عليك من صور البيان الصحراوي ما ياخذ بمجامع القلوب ، كما في قول عنترة العبسي :

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل — مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها — لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن شعراء نجد امرؤ القيس وخالاه كليب والمهلهل . وعمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى . وجميعهم من السادة الكبار . ومنهم من كان رئيسا لقبيلته والناطق باسمها .

طفولة هذا الشعر

ان من امتع الروايات التي تتصل بحكاية الشعر العربي ، هو ان يكون قد ولد في هودج على ظهر بعير . فقد ذكر المسعودي ان الحداء كان قبل الغناء . ذلك ان مضر ، بن نزار بن معد كان قد سقط في يوم من الايام عن ظهر بعير له ، فانكسرت يده فجعل يقول :

يا يداه يا يداه — يا يداه يا يداه

وكان من احسن الناس صوتا فاستوسقت الابل ، وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر . وجعلوا كلامه اول الحداء . ثم اشتق منه الغناء . وهكذا ولد الشعر .

ويعقب المسعودي قائلا : ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم ، اولع بالملاهي والطرب من العرب . ان هذه الرواية الطريفة ومثيلاتها تفيد بأن بناء الشعر وبناء الخيمة وجدا في ساعة واحدة . وما الهودج الا خيمة على ظهر جمل . ولكم من ابيات رائعة نظمها الشاعر على ذروة سنام الم يقل امرؤ القيس مشيرا الى حبيبته :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا — عقرت بعيري يا امرؤ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه — ولا تبعديني عن جناك المعلل

وكثيرا ما كان يختلط حنين الشاعر وحنين الناقة في نغم واحد . هو في حنينه الى حبيبته ، وهي في حنينها الى فصيلها . من ذلك قول احدهم :

هوى ناقتي وقدامي الهوى — واني واياها لمختلفان

وبعد فليس من المبالغة في شيء اذا قلت بأن الشعر العربي الغنائي لا يعادله اي شعر غنائي في العالم . لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية . ان الشاعر العربي الذي كان يؤلمه فراغ الصحراء من ساكنها ، ابى الا ان تكون قصائده عامرة بالمعاني الرائعة . وما اروع ما يقوله المتنبي في هذا المعنى :

لك يا منازل في القلوب منازل — اقفرت انت وهن منك اواهل

وديع ديب

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

الياس ابو شبكه — روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة — طبعة ثانية منقحة ومزيدة — بيروت — منشورات دار المكشوف ١٩٤٥

١ — ص ٢٤ : « وقد قال ابو نؤاس :

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر »

ليس البيت لابي نواس . وحدث ان سالني زميل عن نسبة البيت فكان ابو نواس اول ما تبادر الى ذهني ، وكان الدافع الى ذلك بيته المشهور :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولكن هذا غير ذاك ولا يشترط الدلالة في النسبة . وقال قوم انه لابن سينا . ولم يثبت ذلك ، ووجده زميل في طبعة للديوان المنسوب الى علي بن ابي طالب .

ولنلاحظ ان ابا نواس وردت في كتاب ابو شبكه بالهمزة ، وليس ذلك بصحيح .

ولا باس في ان يرجع الذين يهمهم معنى البيت « اتزعم ... » الى « رسائل اخوان الصفا » — الرسالة الثانية عشرة في قول الحكماء ان الانسان عالم صغير .

٢ — ص ٣٥ — ٣٦ : « وقد يكون فولتير ابرع كتاب القرن الثامن عشر في تاليف القصص الشرقية ، وفي جملة ما صنفه في هذا الفن حكايات « صادق » Zadig

وبهذا يكون ابو شبكه سابقا على الدكتور طه حسين في الموقف من ترجمة عنوان حكاية فولتير . ومعلوم ان الدكتور طه حسين قد نقل الحكاية الى العربية في عدد خاص من مجلة الكاتب المصري : المجلد ٦ — عدد ٢٣ ، اغسطس ١٩٤٧ وجعل عنوانها زديج ، ولكنه قال في المقدمة : « وبطل هذه القصة فتى من اهل بابل ، يسميه فولتير زديج ، ونسميه نحن صادقا . وقد كنت اضع صادقا مكان زديج في القصة كلها ... »

٣ — ص ٤٦ : « ما لبث ان اصبح مستقر العلايق الودية ... » .

الصحيح : العلائق

٤ — « الرومانتزم » ص ٦٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥

« الرومنطيقية » ص ٧٤ ، ٨٥ ، ١٣١ ، ١٣٣

هكذا ورد مصطلح واحد بلفظين يختلفان بعض الاختلاف ، يقف الاول عند اللفظ الغربي ، وينظر الثاني الى العربية .

٥ — ص ٧٥ : « وراح تييرس بعد سقوط وزارته ... » وتتكرر تييرس ص ٧٦ . كورناي ١٣٧ ، ١٥٣ ، رنبو ١٣٧ ، ١٤٠ ، السمبوليسم ١٢٩ ، فرانسواي ١٥١ .

— كان المنتظر ان يورد المؤلف تييرس على تير Thiers ، ويورد الاسماء الاخرى : كورني ، رانبو ، السنبوليسم ، فرانسوا .

٦ — ص ٩٧ : « واذا كان عهد اديب اسحق ونجيب الحداد عهد نقل واقتباس فقد كان عهد احساس مرهف في لغة مصانة من الابتذال »

الصحيح : مصونة .

٧ — ص ١١٢ : « على انه فيما كان طانيوس عبده ونقولا رزق‌الله واضرابهما منصرفين الى تسلية الجمهور ، كان مصطفى لطفي المنفلوطي واضرابهما منصرفين الى تثقيفه » وتكررت ص ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٦٠ .

ان استعمال « فيما » ليس من الاسلوب العربي . الصحيح ان نقول : بينما كان ...

٨ — ص ١١٣ : « اسكندر ديماس » ، ص ٨٢ ، ١١٦ .

— المنتظر من المؤلف ان يورد ديماس : ديما .

٩ — ص ١٢٤ : « وسرعان ما تفشى في هذه الناشئة ادب لفظي لا يفتقره اي نبوغ او اية موهبة » .

يقصد « بلا يفتقره » لا يشفع له اي لا يغفر له .

١٠ — ص ١٥٩ : « السهى » :

الصحيح : السها .

١١ — كانت الطبعة الاولى ، من منشورات دار المكشوف ايضا ، بيروت ١٩٤٣ ، (انتهى طبعها في ٢٠ نيسان ...) وقد وقع فيها ما وقع في الطبعة الثانية . واشك في حدود مقابلتي بين الطبعتين ان تكون الطبعة الثانية منقحة ومزيدة وان كانت قد تميزت بأنها ذكرت اسماء من اشترك في رسم صور الكتاب ، ودلت على تغيير في الصور . ووردت كورناي على لورنيل (١١١ ، ١٢٧) والمنتظر ان تأتي على كورني .

(٢)

اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، الدكتور احسان عباس ، عالم الفكر ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت — فبراير(شباط) ١٩٧٨ .

١ — ص ٦٠ : « سان جون بيرز » ص ١٤١ « سان جون بيرس » .

— الاولى توحيد اللفظ ، والثاني اقرب الى الصحة ، وهو سان جان بيرس .

٢ — ص ٨٣ : « ولعل خير ما يصور هذه الاهمية ، لا عدد البحوث الفلسفية التي كتبت في هـذا الموضوع وحسب ، وفي طليعتها بحوث برجسون وهيدجر ، بـل بتلون النتاج الادبي ... » .

— عبارة غير لائقة بالدكتور احسان عباس لركتها ، وكانها ترجمة حرفية ...

٣ — ص ١١٣ : « وتكاد ان تكون الصحة الاولى التي يعكسها هـذا الشاعر ان تكـون متصلة بفقدان « النقاء » المعنوي في المدينة » .

— الصحيح : تكاد تكون ، مـع حذف ان تكون الثانية .

٤ — ص ١٣٧ : « ... وذلـك امـر متصـل بالبدهيات » ص ١٣٨ ، ص ١٤٠ .

— يقصد : البديهيات .

٥ — من الخطا المطبعي تسلسل الصفحات ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ فقد تقدمت المطبعة في المادة واخرت . وصحيح التسلسل كي تطرد المادة هكذا : ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ١٤١ .

٦ — ص ١٣٩ : « الناقـد الفرنسـي دونالـد Donald ... » .

— الصحيح : رولان Roland — وفيـه خطـأ مطبعي .

٧ — ص ١٤١ : « ليل يصبح بجانبيه نهار » .

— الصحيح : يصبح — وهو من الخطا المطبعي .

٨ — ص ١٤٩ : « ولعل هـذا ان يكون وضعـا طبيعيا » .

لا تاتي « ان » في خبر لعل . ويمكن ان تكون الجملة هكذا : ولعل هذا وضع طبيعي .

٩ — ص ١٧٧ : « لانها حين تصبح هي — اي المراة — واتما في حياته يمحي وجوده (اي وجود الشعر) ايهما يختار ... » .

— يمحي من الخطا المطبعي صحيحه : يمحى ، والا كانت يمحو

(٣)

سيمون دي بوفوار — واقع الفكر اليميني ترجمة جورج طرابيشي ، بـيروت ، منشورات دار الطليعة ، ط ١ ، ك ٢ ، ١٩٦٣ .

١ — ص ٨ : « سوف ييئس ويضحك ساخرا »

— الصحيح : ييأس .

٢ — ص ١٩ : « الدفاع عن حضارة مدانة نشك في نفسها » ... ص ١٠٦ .

— الصحيح : مدينة .

٣ — ص ٣٥ : « وقد ندهش من ان آرون يتبنى عن المثقف مفهوم شخص مثل غرانسواز جيرو ... » .

— لعل الصحيح : فرانسوا .

٤ — ص ١٢٤ : « انهم يكتبون لنا باعجاب ... عن عذوبات الحياة البورجوازية » .

— لعله يريد : عذوبة الحياة او بهجتها . واذا كان لا بد من الجمع فلتكن : متع او لذاذات .

واكبر الظن انه يترجم كلمة délices .

(٤)

د. عبد الغفار مكاوي — المسرح الملحمي ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك (١٠) ١٩٧٧ .

١ — ص ٨ : « وارتبطـت الطقـوس بعبـادة ديونيزيوس ... » ص ٩ : « ... ديونيسية » .

— المناسب توحيد الرسم بين الزاي والسين .

٢ — ص ٢٢ — ٢٣ : « نرى امامنا جماعات من الشعب وافراد الطبقة المتوسطة وقادة الثورة وانصارهم واعدائهم ... » .

— الصحيح : واعداءهم .

٣ — الكتاب مفيد على صغر حجمه ، وهو اجدر ان يكون المسرح اللاارسطي ، او المسرح المضاد للمسرح الارسطي ... وقد عودنا الدكتور مكاوي على حسن الترجمة بتصرف والاعلان عن ذلك منذ المقدمة ، وقد يكون كتيبه هذا من ذلك النوع ، وقد يعد ما جاء في الاشارة الاولى (ص ٧٧) دليلا على المرجع في التلخيص — ان بنا حاجة الى هذا الضرب من التاليف الذي يعتمد المرجع الاجنبي اساسا ، انه تاليف التلخيص ان شئت .

تقول الاشارة الاولى : « راجـع للسيدة ماريانة كستنج — وهي من اهم دارسي المسرح الحديث — كتابها القيم عن المسرح الملحمي ... » .

(٥)

د. حسام الخطيب — سبل المؤثرات الاجنبية واشكالها في القصة السورية الحديثة . القاهرة . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ .

١ — ص ١ : « لا يبدوا الجمع بين الاشكال القصصية المختلفة مسوغا » .

ـــ ان الالف بعد الواو من يبدو خطأ صار متكررا في مطابعنا العربية .

٢ ـــ ص ٢٣ جاء في كلام فؤاد الشايب : ... قبل ان نجرأ على ... » .

ـــ وصحيحه : نجرؤ .

٣ ـــ ص ٢٩ : « وكان الكتاب ظماى للنهل من الثقافة العربية » .

ـــ هو ظمآن وهي ظماى وهم ظماء بالكسر والمد .

٤ ـــ ص ٣٢ : فرانسوا كربي ، ص ٤٦ : اميلي بروفتي ، ص ٤٨ : اندريه فوروا .

ـــ صحيح الخطأ المطبعي هذا : كوبه ، برونتي ، موروا .

٥ ـــ يفضل المؤلف استعمال بداءة الرواية (ص ١٣) والبداءة العملية (ص ١٧) على بداية الرواية ، والبداية العملية ـــ وهو تفضيل غير مسوغ .

(٦)

مارون عبود ـــ احمد فارس الشدياق صقر لبنان ... بيروت ، ط ٢ ، دار مارون عبود ١٩٧٥ .

١ ـــ ص ٨٠ : « فهل انا في ذا ، يا لهمذان ظالم ؟ » .

ـــ الصحيح : يال همدان اي يا آل همدان ـــ وهمدان قبيلة يمانية .

٢ ـــ ص ١٥٧ : « اشبعهم سخرا وهزاء » .

ـــ لعلها : هزءا .

٣ ـــ ص ١٧٤ : « لقد أوتي عينان لاتطفان » .

ـــ الصحيح : لقد أوتي عينين لاتطفين .

٤ ـــ ص ١٨٠ : « اما نحن فنرى بيت السهروردي مع بعض تغيير وتحريف ، اكثر مطابقة لحاله :

كانما هو في حل ومرتحل   موكل « ببيان العرب » يزرعه

ـــ يريد البيت :

كانما هو في حل ومرتحل   موكل بفضاء الله يذرعه

والبيت لابن زريق البغدادي وليس للسهروردي وعينية ابن زريق مشهورة .

٥ ـــ احال في هامش ص ١٦٧ على كنز الرغائب ، واحال ص ١٧١ على منتخبات الجوائب . والذي يقتضيه منهج البحث توحيد الاحالة لان الكتاب المحال عليه واحد هو : « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » مما اختاره سليم احمد فارس الشدياق من مقالات ابيه في مجلة الجوائب وقد طبع في سبع مجلدات .

وتكرر الاضطراب في الاحالة ص ١٨٥ ، ١٨٨ .

(٧)

القاموس السياسي ، وضع احمد عطية الله . القاهرة ط ٣ جديدة ومزيدة ، الناشر دار النهضة العربية ١٩٦٨

١ ـــ ص ١١٠ : « قازاقستان » . الصحيح : كازاخستان .

٢ ـــ ص ١٩٢ : « البزاز : سياسي عراقي وهو دكتور عبد الرحمن البزاز درس الحقوق وحصل على درجة الدكتوراه في القانون ... شكل وزارته الاولى خلفا لعارف عبد الرازق ... وفي اغسطس ١٩٦٦ زار انقره ... وبعد عودته قدم استقالته وخلفه ناجي الاصيل » .

أ ـــ لم يكن دكتورا ولم يحصل على درجة الدكتوراه . وكذلك ص ٧٧٩ .

ب ـــ عبد الرازق : عبد الرزاق . وكذلك في ص ٧٧٩ ، ٧٩٢ .

ج ـــ ناجي الاصيل : ناجي طالب ـــ اما ناجي الاصيل فقد توفي سنة ١٩٦٣ .

٣ ـــ يخلط بين « ثورة وانقلاب ففي ص ١٩٢ يقول : انقلاب تموز وفي ص ٣٥٧ ثورة ١٤ تموز « اسم يطلق على الانقلاب العسكري في العراق » وانتهى الامر بانقلاب ١٤ رمضان » ، وفي ص ٣٥٧ « ثورة ١٤ رمضان » وتنظر ص ٦٩٢ ، ٧٧٩ ، ٧٩١ ، ٨٩٩ ، ١٣١٤ .

٤ ـــ ص ٣٥٧ : « مجلس الوزراء ... برياسة اللواء جوي طاهر يحى » .

ـــ كان فريقا ، ولم يكن جويا .

٥ ـــ ص ٥٦٥ : « رشيد عالي ... الكيلاني ... عين لاول مرة وزيرا للعمل عام ١٩٢٤ » .

ـــ لم تكن في العراق ـــ آنذاك ـــ وزارة للعمل ، وانما كانت وزارة للعدل هي التي « عين » فيها رشيد عالي ... وتسمى وزارة العدلية .

٦ ـــ ص ٦٨٥ : « شط العرب مجرى مائي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات عند بلدة القرنة العراقية ، وفي خلال مسيره الذي يبلغ ١٠٠ م يصب فيه من ناحية الشرق نهر قارون ... » .

أ ـــ ١٠٠ م لا تعني ١٠٠ متر ، والاولى ان تكون ١٠٠ كم او ١٠٠ ميل ..

ب ـــ قارون : كارون .

٧ ـــ ص ٧١٠ : « صالح جبر تولى زعامة حزب الامة العراقي » .

ـــ حزب الامة الاشتراكي ـــ وهو اشتراكي بالاسم فقط

٨ ـــ ص ٨٥٦ : « فدائيات اسلام . جمعية ايرانية .

ـــ لعلها فدائيان .

٩ ـــ ص ١٣١ : جائزة نوبل « وكان اول من حصل عليها الاديب الفرنسي ريتيه برودوم ... » .

ـــ وكان اول من حصل عليها في الادب سلي برودوم .

(٨)

سامي خشبة — قضايا المسرح المعاصر، بغداد، تشرين الثاني ١٩٧٧، سلسلة الموسوعة الصغيرة — ٤ .

١ — ص ٩ : « يوجين اونسكو » .

— ورد ص ٣٠ « يوجين يونيسكو » ، والمناسب التوحيد ، واشتهر بـ « يونسكو » .

٢ — ص ١١ : « وكانت المشكلة في « مسرح » الطليعيين القدامى بمـا فيهم الكتاب الوجوديين حـتى اهم ... » .

— الصحيح : بما فيهم الكتاب الوجوديون .

٣ — ص ١٤ : « ... حـين اكتشف السرياليون والداديون ان الحرب الوحشيه ... » .

— الصحيح : الداديون والسرياليون ...

٤ — ص ٧٢ : « كان فيديكيند تلميذا مخلصا لابسن وسترندبرج سويا ... » .

— سويا : معا .

٥ — ص ٨١ : « ... اختفت ... مسرحيات التعبير بين الالمان ... ولم يركز — حتى النقاد الليبراليين عليها الاضواء ... » .

— الليبراليين : الليبراليون .

٦ — ص ٨٣ — ٨٤ : « ... برخت ... / بخبري ... مسرحية الانسان هو الانسان عام ١٩٢٧ في الهلا ومسرحية اوبرا البنات الثلاث في لندن ... وجيئت مسرحية صعود وسقوط مدينة ماهاجوني عام ١٩٢٩ في غرب امريكا ... » .

— تكرر اسم « برخت » بالخاء والصحيح برشت بالشين .

— صحيح « البنات » : « البنسات » . وهو من الخطأ المطبعي . وترجمت المسرحية الى العربية بعنوان « اوبرا القروش الثلاثة » .

(٩)

امين الخولي — مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب، القاهرة، دار المعرفة ١٩٦١ .

١ — ص ١٠١ : « المبرد — ت ٢٨٣ » .

قال ابن خلكان : « توفي — المبـرد — سنة ست وثمانين وقيل خمس وثمانين ومائتين » ومثله ثقات آخرون كثيرون . ولكنك لا تعدم من يقول — كما قال صاحب مراتب النحويين — « مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين » ...

٢ — ص ١٠٥ : « عبدالله بن المعتز ت ٢ ، ٣ ق » .

يقصد بالقاف : قرن وابن المعتز ولد وعاش وتوفي ٣ ق .

٣ — ص ١٢٠ : « ان معمرا ابا الاشعث قال لبهلة الهندي ... ما البلاغة عند اهل الهند ؟ قال بهالة ... قال الاشعث فلقيت ... التراجم ... » .

صحيح بهالة : بهلة (وهو من الخطأ المطبعي) ، وصحيح التراجم : التراجمة .

٤ — ص ١٣٠ : « التبتازاني »

صحيحه : التفتازاني — وهو من الخطأ المطبعي .

٥ — ص ١٣٣ : « ... ابسن قتيبة الدينوري ، بثقافته اللغوية والدينية ، التي لم تقدم الاتصال بالجديد » .

الصحيح : لم تعدم ، ولا بد من رد ذلك الى الخطأ المطبعي .

٦ — ص ١٣٤ : « قدامة بن جعفر ... صاحب النقدين » .

لا بد انه يقصد بالنقدين : نقد الشعر ونقد النثر بدليل قوله ص ١٣٧ : « نقد الشعر ونقد النثر لقدامة » وثابت الآن ان نقد النثر ليس لقدامة ولكن المؤلف تحدث بعلم زمانه الذي لم يتعد الشك ، وقد أثبت المؤلف هذا الشك بقوله « ونسبة الاول اليه اثبت من نسبة الثاني » . اما قوله : « وكلاهما مطبوع » ، فلا بد من الملاحظة ان الذي طبع منسوبا لقدامة من نقد النثر غير كامل .

وقد طبع الكتاب كاملا صحيح النسب الى صاحبه الحقيقي باسم « البرهان في وجوه البيان » لاسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب — ينظر تحقيق د. احمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي .

٧ — ص ١٣٤ : « ابو هلال العسكري ت ٣٦٥ هـ » .

— الصحيح : ت ٣٩٥ .

٨ — ص ١٣٥ : « ابن الاثير ضياء الدين ت ٦٧٣ هـ » .

— الصحيح : ت ٦٣٧ هـ — وهو خطأ مطبعي يرد صحيحه ص ١٦٣ .

٩ — ص ١٣٩ : « الجامع الكبير لابن الاثير ... وهو مخطوط بمصر ... » .

لقد طبع الكتاب ببغداد سنة ١٩٥٦ بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد وصدر في مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

١٠ — ص ١٥٠ « عبدالله بن المعتز المتوفى سنة ٣١٠ هـ » .

— الصحيح : سنة ٢٩٦ هـ . وقـد ورد صحيحا ص ١٣٤ .

(١٠)

كلهم ابنائي ، مسرحية لآرثر ملـر ، ترجمة عبد الحليم البشلاوي، مكتبة الفنون الدرامية ٢٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ويكتب المترجم مقدمة يسمي المسرحية فيها مـرة « كلهم ابنائي » ، ومرة « كلهم اولادي » — تنظر ص ١٧ ، ١٨ . والمناسب ان نلتزم استعمالا واحدا حتى لو كان المعنى واحدا للكلمتين وانما يؤديان ترجمة الكلمة الانكليزية .

واستعمل المترجم (ص ٢١) دردشه وهي من العامية المصرية لا موجب لاستعمالها في سياق كلام فصيح وكان من الممكن ان يقول « محادثة » او « ثرثرة » ...

وجاء على ص ٢٧ : « كنت اريد ان اكتب بحيث يخطىء ذوو الفهم والادراك مسرحيتي فيظنونها الحيـاة نفسها ، ولا يحتاجون الى اعارتها ... » ، والصحيح : فيظنونها .

(١١)

طه حسين — كلمات ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٧ (كانت ط ١ سنة ١٩٦٧) .

من الخطأ المطبعي فيه :

١ — ص ١٠٣ (مقالة صلاح) : « ولم يتح لي ان القاه الا بآخره ... » .

— صحيحها : باخرة .

٢ — ص ١٢٨ (مقالة ظواهر) : « رسالة الشعر الحديث التي يبتدي فيها الاستاذ ... يعيد ... » .

— صحيحها : يبدىء .

٣ — ص ١٣٤ (من المقالة نفسها) : « ماذا تصنع بيا كتب ... لسوساج ! وما كتب القس بريفو ! » .

— الصحيح : لوساج ... بريفو (الباء بثلاث نقط) .

(١٢)

برتولد بريخت — حياة غاليليه ، تعريب بكر الشرقاوي ، دار الفكر الجديد ١٩٧٢ .

١ — بريخت : برشت .

٢ — خير من « تعريب » التي شاعت ، صحيحها : ترجمة .

٣ — ورد اسم المترجم على الغلاف الخارجي : بكر الشرقاوي ، وعلى الغلاف الداخلي : بدر الشرقاوي . وختمت المقدمة باسم بكر الشرقاوي . ولـم ندر بذلك الاسم الصحيح .

٤ — لم ينص المترجم على اللغة التي نقل عنها النص الى العربية ، ولا يبدو انه ترجمها عـن اللغة الاصلية للمسرحية (الالمانية) ، ولعله ترجمها عن الفرنسية .

٥ — ورد في المقدمة تميس ، والذي تنص عليـه المعجمات : تعس (او تاعس) — ينظر ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٦ — جاء في المقدمة : « فهم ليسوا علامة الا على ان الانسانية لا تزال ... » والتركيب غير سليم ، ويمكن ان يكون : فما هم الا علامة على ان ... او فلم يكونوا الا علامة (او دليلا) على ان ...

٧ — جاء على الغلاف « ... غاليليه » ، وفي صلب المسرحية : جاليليو . والمفروض التوحيد ، والانسب ان يكون جاليليو ، وانسب من ذلك ان يكون كاليلو (بالكاف الفارسية ...) . ولكننا لم نتفق على ما يقابل الـ (G) في مصر يكتبونها (ج) وفي لبنان (غ) ، وما ضر لو تبنينا الكاف (الفارسية) لتكون اقرب الى الحقيقة ، وفي العربية شيء من هذه الكاف لفظا ، وفي المغرب العربي من وجد لها رسما خاصا يمكن ان تتبناه .

٨ — ص ١٣ : « لنرى ذلك بانفسنا » .

والصحيح : لنر

٩ — ص ٢١ — ٢٢ : « ان راسي كانت ستتدلى ... لماذا تتدلى راسي ... » .

— والصحيح : ان راسي كان ... يتدلى ... — الراس مذكر بالطبع .

١٠ — ص ٢٧ : « ليس لدينا ... الا فروضا » .

— الصحيح : فروض

١١ — ص ٦٨ : « هل هناك شيئا ... » .

— الصحيح : شيء . وتنظر ص ٨٢ .

١٢ — ص ١٦٠ : « يفرج ليات بكوب ماء » .

— الصحيح : لياتي .

١٢ — ص ١٧٨ : « لقد كان عمري احدى عشر عاما » .

— الصحيح : احد ...

١٣ — ص ١٨٢ : « ان العلـم ... يهتم بكـلا المعركتين » .

— الصحيح : بكلتا المعركتين

هذه نماذج من الخطأ الوارد في الترجمة . اما كان الانسب بالمترجم او بالدار ان تعرض الترجمة على عارف باللغة العربية قبل النشر ؟ !

كلية الآداب بجامعة بغداد **علي جواد الطاهر**

أحمد الله لكم هذا اللقاء

القصيدة التي القاها الشاعر محمد عبد الغني حسن عضو مجمع اللغة العربية بمصر في الحفل الختامي لمؤتمر المجمع في الدورة الـ ٤٤ في شهر مارس الماضي

حمد الله لكم هذا اللقاء ... نحن في الغضبة للفصحى سواء
ما تزالون لها متكأ ... ثابت الاساس ، مرفوع البناء
لكمو في كل عام وقفة ... تلتقي العزة فيها بالاباء
جمعتنا إحرف من شمم ... وخيوط ضفرت من كبرياء
والتقينا كلنا في نسب ... واضح كالشمس ممدود الرواء
يا مثيبي النور من اعينكم ... لتبثوا النور فينا والضياء
وهب الله لكم كل سنا ... حقق الله بكم كل رجاء
الشيوخ اليوم لم يقعد بهم ... نصب ، او لم يثبطهم عناء
لا تقولوا : قعد السن بنا ... انها حجة قوم ضعفاء
اين ماتى الضعف من قوم غدوا ... بالذي ياتون اقوى الاقوياء
يا معيدي الصفو من امجادنا ... بعد ان كدر في الدنيا الصفاء
(الامام) اليوم لم يصرفكمو ... عن رجوع والتفات للوراء
نحن في الحالين لم نخرج على ... سنن العلم ، ونهج العلماء
غلنا في الامس عز وانتماء ... ولنا فيه اعتصام واحتماء
نحن ان لم نف للماضي ، فما ... نحن يوما لزمان اوفياء
هكذا نحن لماضينا ... ومن ... شيمة العرب على الدهر الوفاء
بارك الله لنا مؤتمرا ... ضم فيه العلماء الانبياء
فيه من كل قطاع علم ... لم يحجبه على البعد خفاء
كل عضو فيه ، فيه ومضه ... من سنا البرق ، ولمح من « ذكاء »
ينفح الطيب على اعطافه ... ويطيب المدح فيه والثناء
قد جمعتم ههنا اهل النهى ... واولي الفضل ، وارباب الذكاء
ثم افضلتم فزدتم « مبضعا » ... كل جرح منه محتوم الشفاء
« حسن »(1) كان صنيعا حسنا ... ساقه الله فاضفى وافاء
كان « لابني » من يديه نعمة ... ورات « بنتي » بكفيه الدواء
ثم ثنيتم بفضل حينما ... كرم الشعر بكم والشعراء
فاذا بي بينكم منطلق ... ليتني احسن في الايك الغناء
علني « يا بن خميس »(2) اقتدي ... فلقد اقعدني فوق السماء
بقصيد فيه من انسى به ... كل ما في الروض من ظل وماء
فاذا لم تنكروني شاعرا ... فكفاني منكمو هذا الجزاء
انتهينا اليوم من اعمالنا ... طبتمو ما بين بدء وانتهاء
فترة مرت كحلم في الكرى ... او بساط قد طواه الندماء
كم دخلنا في نقاش عاصف ... وخرجنا فاذا الريح رخاء
ليس فيما بيننا شائبة ... كيف ينسى الى الود الجفاء
ان تنادينا فللضاد الفداء ... او تداعينا فللعرب الدعاء
ولنا في كل عام ملتقى ... يلتقي فيه مع الفكر الاخاء
لا نبالي موسما يجمعنا ... ليس في الحب ربيع او شتاء

---

(1) ــ حسن هو الدكتور الجراحي حسن علي ابراهيم عميد كلية الطب السابق ، وعضو المجمع الذي انتخب مع الشاعر محمد عبد الغني حسن . وقد سبق ان اجرى جراحتين لابن الشاعر وابنته .

(2) ــ ابن خميس هو الاديب الشاعر السعودي : عبدالله بن خميس ، وكان له فضل على الشاعر حين استقبله في المجمع بابيات صافية رقيقة .

القاهرة ... محمد عبد الغني حسن

نقولا يوسف

نقولا يوسف كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

علاقاتي الفكرية والروحية التي تكونت ثم تبلورت عبر ثلاثين عاما ، بعدد غير قليل من ابناء الوطن وشعرائه ، مبعثها اما الاسباب المواتية التي تخلق المناسبة من حيث يدري المرء او لا يدري ، واما المصادفات العجيبة التي هي خير من المواعيد كما قيل ، واما اللقاءات المفاجئة غير المنتظرة في احوال كثار ، واما المراسلات المبنية على ارهاص من الرؤية المشتركة لزخم من القضايا والمسائل الجارية ، والشعور الانساني المتبادل ..

وسيبقى الادب والفكر ، في هذا المعترك ، من اوثق الاسباب في ربط الانسان باخيه الانسان لسانا وجنانا ، وفي تغذية ما هما بشأنه مبدأ وغاية ..

مدين انا بفضل لا يجحد لصديقي وديع فلسطين : سفير الادب المعاصر .. انه استدرجني ثم حثني على الاتصال بنيقولا يوسف ، الاديب العربي السكندري ، لعله ان يطلعني على اشياء خافية وكامنة عن المستعرب التركي النقادة المفكر : اسماعيل احمد ادهم ، هذا الذي عاش بالاسكندرية حتى يوم القائه بنفسه في ترارة اليم منتحرا ، ناقما على الدنيا : ما فيها ومن فيها ..

ذلك كان بعد رحلتي الادبية الى ارض الكنانة .. والتقائي ببعض من ادبائها ومفكريها ، اصدقاء وغير اصدقاء ..

من هنا - وفي اوائل عام ١٩٧٠ بعثت الى نيقولا يوسف بعد ان زودني صديقي الوديع بعنوانه ، بكتابي من كتبي هما : « في الادب والحياة » و « من الادب العربي المعاصر » .

هذه كانت البداية .. وخير البدايات ما كان على هذا النحو ...

على الايام .. بينا تذهلني دوامة الحياة عما حوالي ، وتغرقني هموم الذات في بحر لجب ، تطالعني رسالة نيقولا يوسف المؤرخة بالثالث من آذار ١٩٧٠ وبها يقول : « ... تلقيت شاكرا هديتيك الثمينتين — مؤلفيك : — « في الادب والحياة » و « من الادب العربي المعاصر » . تسلمتهما من عهد بعيد . بعد ان تريثا طويلا في الطريق ، وتمهلا في البريد .. ثم تباطأت انا ايضا ، املا في ابداء الراي هنا ، او على صفحات « الاديب » هناك . لم ازج اليك شكرا ولم ابد في الكتابين رأيا .. ان الكتابين جديران بالتمعن والدرس . وللمؤلف كما اطلعنا مقدم الكتاب — دكتور صفاء خلوصي — ميزات كثيرة وحسنات وفيرة . واقل ما يقال في هذين الكتابين انهما يبشران بأدب كبير ويمهدان لنقد جديد . ولمؤلفهما «مؤقتا» شكرا جزيلا وثناء عاطرا وتقديرا وافرا ... » .

على انه شفع رسالته هذه بتصوير فوتغرافي مهدى الي ، وملتقط له بمكتبته الخاصة بدارته برمل الاسكندرية .

هذا الجواب الهادىء المكثف انما جعلني اتفاءل ، وان كان التشاؤم ديدني في كل مشروع احاول الاطلاع به ، وفي كل فكرة اتولاها بالتنفيذ ، حتى ليؤول الامر الى ما هو مقدور له ، منشور ، او غير منشور ..

من اول وهلة ابديت رغبتي لنيقولا يوسف في امكانية الاطلاع على مراجع تتعلق بحياة اسماعيل ادهم وظروفه الخاصة والعامة ، ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ثم الاصداء التي تركها على اثر انتحاره الفظيع ..

وادركني جوابه : « واما بحثكم في الكاتب الناقد المرحوم اسماعيل ادهم — فارجو لكم فيه التوفيق والنجاح . وارفق بهذه الرسالة قائمة بما اذكره الآن من المراجع والاشارات والكتابات الخاصة بهذا الكاتب الباحث ، على ان ارسل اليكم ما لدي مما ينقصكم في هذا الشأن وبخاصة صور رسائله الى صديقه وصديقنا المرحوم محمد امين حسونة اذا شئتم . ولسوف ترون من هذه الكتابات المختلفة ذلك التضارب والخلط والمبالغات احيانا ، مما يدور دائما حول المرحوم اسماعيل ادهم ولو ان مقالة شقيقته الاستاذ ابراهيم ادهم اقرب ما كتب عنه الى الصحة .. » .

ثم تحينت الفرصة لافاتح نيقولا يوسف بالتساؤل عما اذا كان عرف اسماعيل ادهم في حياته ، والتقى به ، او جرى بينهما تراسل ، فكان رده علي : « .. كانت صلتي باسماعيل ادهم صلة الكاتب بالكاتب — صلة

القلم — اقرأ ما يكتب في الصحف والمجلات . كما كان يقرأ هو مما انشر في « السياسة الاسبوعية » فيما بين ١٩٢٦ — ١٩٣٠ وما اكتب في « المجلة الجديدة » لصاحبها سلامة موسى بين ١٩٣٠ — ١٩٤٠ . وكان ادهم من المعجبين بسلامة موسى وبفكره ومتصلا بمجلته ، وكتب عني اسماعيل ادهم في كتابه عن « توفيق الحكيم » — بالاشتراك مع دكتور ابراهيم ناجي ، والمطبوع بعد ذلك بالقاهرة عام ١٩٤٥ يقول : « ولقد وجدت القصة التحليلية الواقعية في مصر اهتماما كبيرا . فقد وجه لها ابراهيم المصري ونيقولا يوسف شيئا كثيرا من جهودهما ، فكتب الاول منهما مجموعة عنوانها « الاديب الحديث » علم ١٩٣٢ كما ان نيقولا يوسف كتب مجموعة من القصص خيرها « الهام » التي نشرها عام ١٩٣٨ وهي قصة تحليلية واقعية نجح نيقولا يوسف في تقديم مجموعة من التحليلات النفسية العميقة مستنزلة من ادراك سليم دقيق لنظريات علم النفس .. » .

ثم لما كانت لاسماعيل ادهم رسائل شخصية ساقها في غمرة معاناته وصراعاته على مدى سنين ، الى بعض اصدقائه المتوددين اليه ، والمتعلقين به ، من امثال احمد زكي ابو شادي ومحمد امين حسونة وحسن كامل الصيرفي ، وجميلة العلايلي ، وزكي المحاسني وسامي الكيالي ومن اليهم ، فقد توجهت الى نيقولا يوسف اذا كان في مقدوره ان يذلل بعض مصاعبي ويختصر بعض متاعبي حول هذا ، فيدلني على كيفية الحصول على بعض هاتيك الرسائل .

من الطائف التي لا يمكن التغاضي عنها ، ان اشار الى الموضوع بقوله : « رسائل ادهم الى محمد امين حسونة ، ولدي منها ١٢ رسالة منقولة من الاصل حرفيا ، سوف ارسلها اليكم في بريد مستقل . اما الاصل فما زالت محفوظة مع رسائل ابي شادي وغيرها عند شقيق المرحوم حسونة ، الاستاذ امين حسونة ، امين مخازن السكة الحديدية — ميت غمر — بالقطر المصري » .

فوفاء بالعهد الذي قطعه نيقولا يوسف علي ، تفضل مشكورا باستنساخ جميع رسائل اسماعيل ادهم الى محمد امين حسونة ، بخط يده ، ايغالا في الدقة والحرص ، وتفاديا للتحريف والتصحيف .. اضافة الى استنساخه مقتطفات من رسائل احمد زكي ابو شادي الى محمد امين حسونة ، وبها شيء كثير ومهم يخص اسماعيل ادهم بالذات ..

لقد ابتهجت بهذا النبل المجسد .. وبهذا الفضل المشخص .. حتى رحت افكر ، كيف لي ان اقابلهما بصنيع .. ولكنها شيمة الاصلاء من الرجال النادرين في هذا الزمان اللعين الملعون ..

ثم اخذ نيقولا يوسف يوغل في اسداء الافضال الادبية المجدية الي .. فقد ذهب بنفسه الى حسن كامل الفنان ، صديق اسماعيل ادهم ورفيق صباه ، مقتزعا منه اعترافات مهمة ذات قيمة بخصوص ادهم ، بعد حجبها عني ، حين كتبت اليه راجيا رجاء ان يسلط انوارا كاشفة على ما يكتنف حياة ادهم وواقعه من غموض وضباب ، خدمة لتاريخ الفكر المعاصر ؟! هنا كتب نيقولا يوسف الي يقول : « ولقد بادرت لدى اطلاعي على رسالتك الى الاتصال تلفونيا بالصديق الفنان السكندري حسن كامل ، واطلعني على تلقيه رسالتك وعزمه على الرد عليها ، ولكنه — كما يقول — تردد كثيرا في الكتابة اليك خشية ان يخيب ظنك حين يشوه صورة الاديب الذي قد تكون من المعجبين به » .. وفي رسالة تالية عرج نيقولا يوسف على الموضوع ذاته ، فذكر : « وفي هذا الشهر زرت الاستاذ حسن كامل بمنزله القريب منا ، وكرر تحياته اليك واعتذاره من تأخير المكاتبة ثم املى علي ما استطاع تذكره من اخبار صاحبه اسماعيل ادهم في الثلاثينات ، ومرفق ورقة بها اقوال بنصها ... انقلها اليك وناقل الكفر ليس بكافر » .

كذلك تجشم نيقولا يوسف ، وهو المريض الذي اصطلحت عليه ادواء الشيخوخة ، عناء غير قليل لا ينسى ، في السعي الى مكتبة البطريركية الكاثوليكية بالاسكندرية ، بعد اخفاقه في المكالمات الهاتفية معها ، ليراجع مجلدات صحيفة « البصير » السكندرية ، التي نشر بها اسماعيل ادهم عديدا من ابحاثه . حيث قال : « ان مجلدات جريدة « البصير » الصادرة عام ١٨٩٧ حتى اوائل الستينات ، اراد صاحبها الاستاذ شارل شميل ان يهديها عقب احتجاب الجريدة وبيع دارها ومطبعتها الى دار الكتب بالاسكندرية ، فاعتذرت من ضيق المكان فاهداها الى مكتبة الروم الكاثوليك المجاورة لكنيستها والمفتوحة للجمهور . وقد ذهبت الى هذه المكتبة بضع مرات ، آخرها هذا الاسبوع فوجدتها مغلقة وعلمت من الحارس هناك انها اغلقت بسبب تهور بعض العابثين الذين كانوا ينزعون بعض الاوراق من الكتب والصحف ، فتقرر الا تفتح الا باذن خاص من البطريركية . واتصلت بالاستاذ شميل فاطلعني على القصة السابقة الذكر برمتها . ولما سألته عما اذا كان يذكر شيئا عن صلة المرحوم اسماعيل ادهم بجريدة « البصير » ، اجاب بان مضى اربعين عاما على هذا الموضوع انساه الامر كله ... ولهذا فاني استمهلك فترة اخرى للنظر في الامر شاكرا لك جميل صبرك .. » .

لكن شيئا من هذا كله لم يستطع نيقولا يوسف ان يحققه لسبب نوهت به في آخر الحديث ..

المحت ان اتصالي الادبي بنيقولا يوسف بدأ على اثر ارسالي برسالة اليه ، مشفوعة باهداء كتابين من كتبي ..

على انه وان اجاب عما كتبت اليه ، فقد ارفق ذلك بنسخة من روايته « هم وهن » . ثم قال : « وارجو ان ارسل اليك « تذكارا اخويا » كل ما اعثر عليه من كتبي المطبوعة شاكرا لك كلماتك الكريمة عن كتاباتي .. وانه

ليسعدني حقا ان اهدي الى اديب مكين مطلع مثلك ، ما نشر لي من كتابة هي جهد المقل ووسع الطاقة » .

وتهزني هذه الاريحية من الاعماق ، واحدس في قراري ان نيقولا يوسف قد يكون حريصا على تجسيد اخائه وولائه ، بما يملك اليه من سبيل ، وقد يكون لطيفا في صلاته الفكرية والوجدانية بالآخرين من امثالي .

كان حدسي في مكانه الطبيعي .. وهل هذه الا شهادة لله ..

وصار مما لا بد منه ان تترسخ اواصر صداقتنا عبر الشهور ، يصهرها عمق الاحساس المشترك بالتبعة تجاه الادب المعاصر ، وتغذيها خصوبة الفكر الواحد الداعي الى صنع الانسان الجديد وتحريره ، ليغدو قادرا على التغيير والمواجهة والسمو بواقعه الحياتي ومستواه الحضاري ..

وصار ايضا من الضرورة القصوى لاكساب هذه الصداقة ، طابعا اروع ، ان ابعث اليه بمؤلفات ومصنفات ــ زيادة على ما لدي من كتبي ــ لادباء وشعراء من القطر العراقي ، ليرصد حركتنا الفكرية والشعرية ولو من بعيد ، وليكون له في ما بعد رأي واضح وسليم منها ..

انما كان نيقولا يوسف يستحسن وصول هاته المطبوعات والكتب الصادرة بالقطر العراقي اليه ، ولو ابطأت في البريد ، فيأنس بقراءتها ويستجيب لدواعيها ، حتى انه كتب الي وهو مغتبط قائلا : « هداياكم الجديدة العظيمة وصلت الي جميعا سالمة ، فلكم شكري الجزيل المتجدد على هذا الفضل ، وقد شرعت في قراءتها والاستفادة منها ، معجبا بهذه المطبوعات الرائعة شكلا ومضمونا . ويبدو لي ان هذه النهضة الادبية الحديثة في العراق وما تنتجه من مؤلفات ومترجمات قيمة في شتى فروع الادب ، تذكر بتلك النهضة الرائعة التي ازدهرت في العصر العباسي ، يوم كانت بغداد كعبة يؤمها اهل الفكر والقلم . ولقد اجتمعت لدي من المطبوعات العراقية الحديثة من شعر وقصة وتراجم ، وعلى راسها مؤلفات اخي الاديب المكين وحيد الدين بهاء الدين ما يكون مكتبة عربية جامعة جديرة بالدرس والتنويه .. » .

وحين صدر لي كتابان جديدان بعد ذلك ، ارسلت اليه كالعادة ، بنسخة من كل منهما تخليدا لعهد الاخاء والولاء . وكان ما سطره لي في غاية اللطف والبساطة ، اذ قال في رسالته المؤرخة بالثاني من نيسان ١٩٧١ : « ... تلقيت امس مؤلفيك الجديدين الحبيبين : « شخصيات من الادب المعاصر » و « نظرات في الكتب » وصلا سالمين ، بعد ان استغرقت رحلتهما فيما بين بغداد والاسكندرية اكثر من عشرين يوما ، احياء لرحلات الشيخ ابن بطوطة رحمه الله . وقد تضيت مع الكتابين بضع ساعات ، وطبعا لم اتم قراءتهما ولم ادرسهما بعد ، ولكني بادرت بارسال هذه السطور للافادة بسلامة الوصول ولازجاء الشكر والحمد وحسن القبول » .

ويوم اهديت اليه آخر مؤلفاتي وهو « مباحث في الادب العربي المعاصر » اسرع الى الشكر والذكر قائلا : « تلقيت منذ بضعة ايام مؤلفكم الجليل « مباحث في الادب العربي المعاصر » وقد عكفت على قراءته ، وفيه مباحثكم ونقداتكم وتقويماتكم من ستة عشر اديبا عربيا من كبار كتابنا وشعرائنا المحدثين . جلوتم مناهجهم الادبية واتجاهاتهم الفكرية واساليبهم اللغوية ، في تحليل دقيق وزي شيق ، الى ما انطوت عليه نفسكم الكريمة نحو تلك الاقلام الحكيمة من وفاء نادر وتقدير باهر . وجاءت هذه المجموعة الوافية من الدراسات النقدية معلمة للمتأدبين ومرجعا للباحثين .. » .

واكثر من مرة راودته فكرة لان يكتب عني ويعرف القراء بمؤلفاتي ، الا اني كنت الحف عليه بالرجاء للعدول عن نيته وفكرته لابتعادي من الاضواء وانهماكي في ما يجدي » . وذات مرة وفي التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٥ تطرق الى ما هو بصدده بصراحة قائلا : « وقد هممت بالتنويه بهذا الكتاب الجميل والاشادة بفضل مؤلفه الجليل ، وذلك بمجلة « الاديب » وعاقني تأخر هذه المجلة العزيزة من الصدور في هذه الشهور ، ولكني ارجو ان افي هذا الكتاب وما سبقه من مؤلفات كاتبنا الكبير ما هي جديرة به من ثناء وتقدير .. » .

وحين جانبه كان يهديني ما يتيسر له من مؤلفاته . هذا من جهة ومن جهة اخرى كان يجود علي بين حين وحين بمطبوعات ومجلات تصدر بمصر ، حملا اياي على الاطلالة على احدث الاتجاهات الفكرية والدراسات الادبية والدواوين الشعرية . ورائع ان اسجل انه ما من كتاب مصري جديد اردت الاحاطة بمضمونه علما ، حتى ساقه الي بطيبة خاطر ، ومن كتاب عراقي جديد اوما هو اليه في رسائله وتوخاه ، حتى لبيت رغبته . ذلك كله بسبب من حب « الادب » هذا الذي « اتمناه مقام الوالد » كما يقول ابو تمام ، والذي جمع قلوبنا وعقولنا على اكرم صور التقدير المتبادل ...

وامعانا في الاعجاب باخلاقية نيقولا يوسف ، هذه التي شدتني اليها بسحر خفي ، وتقييما لخدماته الطويلة في مضمار الادب والبحث والترجمة ، رجوته في احدى رسائلي اليه ، ان يوافيني بمجمل مركز عسن حياته ودراسته .. اهتماماته ومؤلفاته . ما قيل عنه وعنها ..

ما هي الا ايام قلائل حتى يتولى تنفيذ الشيء القليل من هذا الذي اردته ، ويبعث به الي تحقيقا لرجائي ، وتخلصا من الحاحي عليه ، ومعتذرا في الوقت عينه وبكل تواضع وهدوء ، عن غير ذلك ..

اما في مراسلاته الادبية معي ، فقد كان نيقولا يوسف بطيئا كسولا ، كذلك كان مع اكثر اصدقائه الآخرين والاقربين الى فكره وحسه . حتى اطلق عليه بعضهم

« اكسل الادباء » ولم يتردد في ان ينوه بهذا الذي يقاسيه في رسالة له . « ... لعلي تأخرت هذه الايام ايضا في مراسلتك .. لقد امسيت مضرب المثل في التقاعس والكسل ، وبت لا عذر لي ، في سلحفائية الكتابة والعمل . ولست الوم اليوم احدا في قطع حبل المراسلة وكنت اول من يلام . » .

الواقع ان كسله وتأخره في المراسلة مردهما الى شيخوخته ، وما كانا مقصودين منه البتة . لقد كنت اعاتبه حينا واعذره احيانا ، حتى انه اشار الى هذه الظاهرة في ما كتب : « واني بفضل الله بخير وسلام ، امضي شتاء العمر ما بين مكتبة البيت ومجاورة البحر ، ولا جديد .. وان للشيخوخة اوامر ونواهي .. وطرائف ودواهي .. » .

كان نيقولا يوسف يشكو دائما من علله المتتالية عليه ، ومن صراعه المستديم لاحداث الحياة بيقليا من مقاومته ومجالدته . ها هو ذا يكتب : « .. ومرت الايام كعادتها سراعا ، تعبث بنا نحن الشيوخ الفانين المصارعين احداث الزمن وبلايا العلل . ! » ..

من اجل هذا كله ، كان كما يبدو من رسائله ، معتكفا بداره لا يبارحها الا قليلا . وان شئت فقل لا يبارح شاطىء البحر القريب من منزله ، وقد صرح بذلك اكثر من مرة . « .. وهاانذا اكتب اليك من ركني البعيد بكازينو « لاكويرتا » على شاطىء البحر ، حيث امضي وحدي بضع ساعات كل صباح ، ويزورني بها بعض ادباء الاسكندرية الاصدقاء للتحدث عن الادب والادباء والكتب والمؤلفين ترويحا عن النفس . لقد كنت خلال الاسابيع الاخيرة متوقعا اصارع وعكات الشيخوخة وموجات الزمهرير وتقلبات الطقس وغوات « امشير » .. » .

وفي الكازينوات ك : كيلوبطرا ، وبترو ، واستورتنج ولاكويرتا ، المنتشرة على شاطىء البحر الممتد عشرين كيلومترا ، كان نيقولا يوسف ، يلتقي في معظم الاوقات ، وخاصة في موسم الاصطياف ، باصدقائه الادباء والشعراء المصريين ، من امثال توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، ابراهيم المصري ، نجيب محفوظ ، حسين فوزي ، ثروت اباظة ، عادل الغضبان ، عزيز اباظة .. حسين فتحي ومن اليهم ، وبالادباء العرب الوافدين لتبادل الطرائف والحكايات المتعلقة بالادب والفن والفكر والاجتماع ..

حتى انه لم يكن يزور القاهرة الا مرة واحدة في العام ، يحل بها هو وزوجته ضيفين على ابنتهما الوحيدة المتخرجة في كلية الاداب ، والمقيمة بـ « المعادي » والمتزوجة من مهندس . وطريف قول نيقولا يوسف في هذا . « .. لا ثالث معنا غير الله . ولا عمل لنا « في المعاش » غير المطالعة في شتى اللغات (ويا الله حسن الختام) كما يقول الشعب عندنا » .

واذا كان لا بد من الالماع الى طبيعة رسائل نيقولا يوسف ونوعيتها ، فان هاتيك الرسائل شخصية وادبية ، تحمل صبغة التكثيف المعنوي والاختصار اللفظي ، وتتضمن تعريجا على الموضوعات الثقافية والفكرية والصحفية ، من الزاوية الذاتية المحضة ، اضافة الى ما وقف عليه القارىء عبر النصوص المنقولة ..

على توالي الايام زاد نيقولا يوسف انعزالا وتقوقعا على ذاته .. زاهدا في اي شيء .. حتى صار لا يتراسل الا في حالات نادرة .. ولا يكتب ما يستحق الذكر ..

من هنا انهى الي قائلا : « لعلك لاحظت انني اصبحت مقلا في كتابة المقالات او القصص بالنسبة للكثيرين غيري . لقد بت في هذه السنوات الاخيرة اكثر اتجاها الى القراءة مني الى الكتابة . فاقرأ المجلات والصحف والكتب من كل نوع ولغة . فاذا نويت الكتابة اجلت وتقاعست ، وقلت : الى الغد ! .

ومضى غد وغد ولم افعل بـه وكذاك ظل غدي ليومي موعدا !!

لقد اكملت السبعين من العمر يا صديقي وشعرت بالانحدار السريع من السفح . ولم اعد ارى حافزا ولا دافعا لتسويد الصفحات البيضاء بالمكرر المعاد . لعله هذا الفراغ الفسيح في سني « المعاش والتقاعد » احب ان املأ بعضه بشيء للاصدقاء وعن الاصدقاء ـ لعل ـ ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .. ولاكتب هذه الاشياء للمجلات الصديقة تائما بترحيبها راضيا بمودتها ، لم يبق لمثلي غير هذه الصداقات والصلات والمودات !! » .

آخر رسالة تسلمتها من نيقولا يوسف كانت مؤرخة بالخامس عشر من كانون الثاني ١٩٧٦ وبعيد عودته من زيارته المألوفة لابنته الوحيدة بالقاهرة بمناسبة عيدي الميلاد ورأس السنة الجديدة . وليس في هذه الرسالة القصيرة الا الشكوى المعتادة من « الوعكات الصحية التي ما زالت تعوقه عن كل نشاط .. » ..

في ضوء هذه السطور اقتنعت ان نيقولا يوسف جعل يشعر في داخله بدنو اجله ..

وانقطعت اخباره ورسائله ...

يظهر ان امراض الشيخوخة ولا سيما الكبد قد تفاقمت معه ، فنقلته ابنته من الاسكندرية الى القاهرة ليعالج في احد مستشفياتها ، حيث امضى فترة تحت المشاهدة والمعالجة ، ثم غادره الى منزل ابنته ، ثم حاول السفر الى الاسكندرية ، لكن لم يحتمل ..

وهناك ساءت احواله الصحية وتدهورت سريعا ، حتى ودع هذه الدنيا الوداع الاخير في الثالث عشر من نيسان ١٩٧٦ حيث لا يعرفه احد .. ودفن في جنازة شديدة التواضع في مقابر مصر القديمة ..

ونعاه الي صديقي القدير وديع فلسطين باسى : « نيقولا يوسف مات ولم يذكره ذاكر .. !! » .. وتلك هي مصيبة الادب والفكر ...

رحمك الله يا صديقي الانسان ..

بغداد — **وحيد الدين بهاء الدين**

بـــــطـــــاقـــــة

*

اهو الشوق شاعرا ترسلينه   لا تعيدي سومحت ذكرى دفينه
ما نسينا ، صدقت لكن حبا   سار في غــير دربه تذكرينه
وهوانا الهوى لو ان الليالي   لــم تعكر على الاماني معينه
وهوانا شوق ونجوى زمانــا   وزمانا نــوى وذكرى ثمينــه
وهوانا الــذي ذكرت سلاف   عند سقيا الوصال كانت ضنينه
وهوانا ، ويا لغبن هوانا ،   اذبــل الناي زهره وغصونه
عطشا جف فاستراح الى الصمت ، ايدري الجواب لو تسالينه
لــم هذا الذي كتبت وانــا   قــد محونا سطور لقيا مدينه
وطوينــا احلامنــا والفنــا   خيبة في الضلوع باتت رهينه

مطلــع مــن قصيــدة وسلام   حملتــه بطاقــة مستهينــه
كتبتهــا انامــل كــن بالامس   منــي قبلــة وعقــد ليونــه
كيف امسين مبضعا ينكا الذكرى   ويدمي مــن سرهــا مكنونــه
لست ادري اهو الحنين وانا   قــد دفنا مــن الغرام حنينه
ام هو البعد عن ملاعب حب   قــر صحبنا سروره وشجونه
ام هي الذكريات لامسها الشو   ق فازجت للحشرجات لحونــه
ام هــو خاب في من يناجي   فتداعى علــى امــان طعينه

يا ليالي البسفور ما ضمد الناي   جراح الهوى فهــل تخدعينه
يا ليالي البسفور بغداد ادرى   بهوى ضيــع الخداع امينــه
مطلــع مــن قصيدة وســلام   مــن تراه بمــا طوت تغرينه
سومح البعد ضاق فاعتاض نجوى   لم يجد عندها الضياع ظنونه
سومح الحب خاب فارتد دعوى   تسال الهجر بعض ذكرى سخينه

يا خيال الاحلام يا صبوة الشاعر   عــادت مشكولــة مصبونــه
مــا نسيت اللقاء والقبل الحرى   ولا امسياتنــــا المفتونــــه
لا ولا وقفــة الرقيب نداريها   بمــا هــد شكــه ويقينــه
كيف انسى وحبنا كان سفرا   شوهتــه اسطــورة مجنونــه
كــان شعرا واغنيات وعطرا   ورفيفــا وثــورة وسكينــه
حــام في افقــه طويلا فلمــا   شارف الروض لم يجده مصونه
وانتهينا الا رسيسا اذا مــا   ذكر الامس اسدل الستر دونــه
رب حــب مرثاتــه ذكريــات   كفنــت الصب دمعــه وشئونه
كان حب وكان عهد وقــد ا   بقيت لــي منهما بقايــا غبينه

الصرافية ـــ بغداد   نعمان ماهر الكنعاني

المتنــــبي الصغــــير

بقلم الدكتور عمر الاسعد

* * *

في سير اعلام التراث العربي صفحات مطويات جديرة بالكشف عنها والتأمل فيها . والاديب الذي نتناوله واحد من أعلام الشعر الذين يمثلون النقلة بين العصور العباسية الزاهية واعلامها من الشعراء النابهين ، وما تلاها من عصور عز فيها الشعراء المتميزون . فشاعرنا من بقايا فصاح تلك العصور الادبية العباسية ممن عاشوا في العصر السلجوقي الاول ، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، ولم يكتب لهم الذيوع ولاسمائهم الاشتهار . ذلكم هو ابو المظفر محمدَ بن احمد الابيوردي المتوفي سنة سبع وخمس مئة للهجرة عصري ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ ، والطغرائي المتوفي سنة ٥١٥ ، والغزي المتوفى سنة ٥٢٤ ، والارجاني المتوفي سنة ٥٤٤ وغيرهم .

نشا الابيوردي في القرن الخامس الهجري الذي شهد احداثا تاريخية عميقة ، وتطورات هامه عد من اجلها نقطة تحول في التاريخ الاسلامي ، لكثرة ما جرت تلك الاحداث من ذيول ، وما تركت من مضاعفات ، وما يعنينا من هذه الاحداث والتطورات ان عهدا جديدا ولد في خراسان والعراق موطن شاعرنا الابيوردي . فقد ظهرت دولة السلاجقة الكبرى سنة تسع وعشرين واربع مئة ، وامتدت الى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وامدتها بدماء جددت شبابها ، واعادت اليها قوتها وهيبتها ، ولبثت تتصرف بمقاليد المنطقة كلها طوال القرن الخامس والسادس بين القوة والضعف حسب اختلاف الاحوال وتقلب السلاطين .

عاصر الابيوردي من خلفاء بني العباس كلا من القائم والمقتدي والمستظهر فادرك من عهد القائم اولى سني حياته وصباه ، وعايش المقتدي عهده كله وهو عشرون سنة ، وسلخ من عهد المستظهر مثل ذلك فمات قبل الخليفة بخمس سنين .

اما سلاطين السلاجقة وهم اصحاب السلطة الفعلية ، فعاصر منهم الثلاثة العظام في عصرهم الذهبي ، والثلاثة الذين تلوهم . فقد ولد زمن مؤسس الدولة محمد بن سيكائيل بن سلجوق المعروف بطغرلبك ، وترعرع ونشأ نشأته الاولى زمن الب ارسلان ، وبلغ اشده واشتد عوده ايام ملكشاه وابنه محمود ، وشارف مرحلة النضج في سلطنة بركيارق ومحمد ولدي ملكشاه . وهكذا عاصر اربعة من سلاطين السلاجقة معاصرة تامة ، واثنين منهم معاصرة جزئية .

وكما كان له مع المقتدي والمستظهر اتصالات دلت عليها مدائحه فيهما ، فقد كان له شيء من ذلك مع بعض السلاطين . واوسع من هذا وذاك ما قام بينه وبين وزراء هؤلاء وحواشيهم من صلات وعلاقات انعكست صورها فيما حفظه لنا ديوانه من اشعاره فيهم . ومن يرصد شعره في هؤلاء يهتد الى طبيعة العلاقات والتغيرات التي اعتورتها تبعا للظروف والاحوال .

ترجم للابيوردي كثير من كتب السير والتراجم القديمة والمتاخرة . وابرز من ترجم له ياقوت في معجم الادباء ، وابن خلكان في وفيات الاعيان ، والسبكي في طبقات الشافعية . على اننا سنحاول في التعريف بالشاعر والترجمة له ان نتخذ من ديوان شعره وثيقة نستشيرها في جلاء ما غمض منَ جوانب سيرته واخلاقه . فديوانه سجل حافل لحياته بما فيها من مباهج ومآتم وعسر ويسر ، ووثيقة تفصح عن علاقاته بالامراء والوزراء والاقارب والاصدقاء ، فضلا عن كونه سجلا تاريخيا دونت فيه بعض الاحداث الجارية في ذلك العصر . ومن هنا تبدو اهمية الديوان في اظهار سيرة صاحبه .

ينتهي نسب ابي المظفرَ محمد بن احمد بن اسحاق الابيوردي بن اجداده الابعدين الى ابي سفيان صخر بن حرب بن امية . وفي شعره ما يؤيد اتصال نسبه بابي سفيان . يقول :

واقرع ابواب الملوك بوالد   هوى بابي سفيان الشرف منتمي

وكما كان يحس بشرف نسبه كان يعتز به في مثل قوله :

اذا انتسبنا احب الناس انهم   منا ولم نرض ان نعزى الى احد

وعرف شاعرنا في المصادر جميعا بالابيوردي ، وعرف في بعضها بالكوفني :

فالابيوردي نسبة الى ابيورد وهي بلدة في خراسان خرج منها جماعة من العلماء ، وفتحت على يد عبدالله بن عامر بن كريز سنة احدى وثلاثين ، وقيل فتحت قبل ذلك على يد الاحنف ابن قيس التميمي .

واما الكوفني فنسبة الى كوفن ، وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من ابيورد في خراسان ، بناها عبدالله بن طاهر .

وذكر ابن خلكان في الكلام على كوفن انه « خرج منها جماعة من المحدثين الفضلاء منهم الاديب ابو المظفر محمد بن احمد الكوفني المعروف بالاديب الابيوردي » .

وفي ديوان الشاعر اشارة الى ان هذا البلد كان موطن اهله ، وان الخطابة فيه كانت لعمه . وان اول من نصب المنبر فيه احد اجداده . ولا يخفى ما لمنصب الخطابة في الاسلام من اهمية تعكس مكانة اسرته هناك . وحين

عادر الشاعر قريته التي خرج منها كان دائم الذكر لها والحنين اليها :

سقى الله رملي كوفن صيب الحيا ولا برحا جسّن رآع ورالسد
فقد اوطنتها مـن ابية عصبة غـذوا بالمعالي في حجور المحامد

اما تاريخ ولادته فقد اكتنفه الغموض ، اذ سكتت عنه كل المراجع التي ترجمت له . ولكن ما ورد في ديوانه مـن اشارات تدل على انه تجاوز الخمسين من عمره ، وما ذكرته كتب التراجم من انه توفي سنة سبع وخمس مئة ، يتيح لنـا تقدير ولادتـه حوالي سنة سبـع وخمسين واربع مئة .

سمع الابيوردي عن طائفة من الشيوخ وروى عنه جماعـة .

ومـن تلمـذ على ايديهم اسماعيل بـن مسعدة الجرجاني ، واحمد بن خلف الشيرازي ، وعبد القاهر الجرجاني واضع اصول البلاغة وغيرهم . وممن روى عنه محمد بن القاسم الشهرزوري ، واحمد بـن محمد الحافظ السلفي ، وعبدالله بن نصر المزيدي وغيرهم .

اما ثقافته ومعارفه التي تلقاها من اساتذته فهي ثقافة متنوعة واسعة ، احسن ما يصورها ما ذكره ياقوت من انه « كان اماما في كل فن من العلوم ، عارفا بالنحو واللغة والنسب والاخبار ، ويـده باسطة في البلاغـة والانشاء ، وله تصانيف في جميع ذلك ، وشـعره سائر مشهور » . وهو فوق ذلك احد القراء ورواة الحديث .

ويدل على ثقافته تلك كثرة المصنفات التي تركها ولم يسلم لنا منها سوى اقلها . فقد سلم لنا من آثاره ثلاثة كتـب :

١ ـــ المختلف والمؤتلف ، وهو كتاب في الانساب حققه المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى جواد .

٢ ـــ ديوان شعره ، وهـو جـزآن : العراقيات والنجديات ، وقد عنيت بتحقيقه وشرحه ، ونشره مجمع اللغة العربية في دمشق .

٣ ـــ زاد الرفاق ، وهو كتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب النجوم ، وغير ذلك من المحاضرات في الانساب واللغة .

اما بقية آثاره ومصنفاته فقد احصى منها ياقوت في معجم الادباء اثني عشر كتابا . وعثرت له على مؤلفين آخرين ذكرهما في زاد الرفاق وهما :

١ ـــ تلو الحماسة ، وهو مجموعة مـن اشعار المحدثين تقفى فيها اثر ابي تمام في حماسته .

٢ ـــ بغية الشادي في علل العروض .

عاش الشاعر حياة صاخبة حافلة بالاحداث الجسيمة والتقلبات المثيرة . ولسنا نعرف شيئا عن نشاته الاولى قبل مغادرته مسقط راسه ووصوله الى بغداد . وفي بغداد تطلع الشاعر الى آفاق واسعة من الطموح والشـهرة ، ووافق ذلك في نفسه هوى شديدا ، فبدأ اتصالاته بالخلفاء والوزراء يمدحهم ويتقرب اليهم ـ لا طمعا في مال ـ بل توسلا للظهور والسيطرة ، وتحقيقا لما كان يجيش في نفسه من الوصول الى الرئاسة والسلطة . ولم نقف على الاعمال التي تعاطاها في بغداد ، ولكننا نجد المراجع تشير الى عدد من المناصب التي تقلب فيها ، والاتصالات التي حاولها دون ان تحددها بوقت او تربطها بسياق : فهو في فترة ما يتقرب من امير الحلة المزيدية صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي ويمدحه ثم يفارقه مغضبا . ونجده مرة اخرى في بغداد في خدمة الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك ، وما يلبث ان يفر منها لدسيسة من دسائس احد اخصام الوزير المذكور . والظاهر انه كان في المحسوبين على الديوان الخلافي ، اذ صدرت من هذا الديوان كتب عوتب فيها على مفارقة بغداد ، فاجاب عنها برسالة رفعها الـى مقام الخلافة ، اوضح فيها ظروف ابتعاده ، وختمها ببحيمة من بدائعه في مدح الخليفة المستظهر بدأها بقوله :

لك من غليل صبابتي ما اضمر واسر مـن الم الغرام واظهر

واشار في بعض ابياته الى نية العودة :

بغداد ايتها المطي فواصلي عنقا تئن لـه القلاص الضمر

ونجده في اخريات حياتـه في همذان يشتغـل بالتدريس والتصنيف مدة ، ثم يرشح ليكون طغرائي الملك هناك (اي صاحب الطغراء وهي رئاسة الديوان) ، ويتولى اخيرا اشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه (اي الولاية على اشرافها) .

هذه الصيحة الحافلة من حياته تشير الى انها لم تكن بالحياة الوادعة المطمئنة ، ولم تخل من كثير من الدسائس والخصومات ، كما لم تخل فترات ابتعاده عن بغداد من التشوق اليها والحنين لها ما تجده مبثوثا في ثنايا ديوانه .

استمد الابيوردي اخلاقه من اصالة نسبه ، وما كان يؤهله له هذا النسب من علو الهمة ، وما يتوهم انه يوصله اليه من رفيع المنصب . وهكذا وصف بأنه كان رئيسا عالي الهمة ذا بأو وتيه وصلف . وحدث السمعاني صاحب « الانساب » عن احمد بن سعيد العجلي قال : سمعت الابيوردي يقول في دعائه : اللهم ملكني مشارق الارض ومغاربها ! فقلت له : اي شيء هذا الدعاء ؟ فكتب الي بهذه الابيات :

يعيرني اخو عجل ابائي على عدمي وتيهي واختيالي
ويعلم انني فرط لحي حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست لحاصن ان لم ازرها على نهل شبا الاسل الطوال
وان بلغ الرجال مداي فيما احاوله فلست مـن الرجال

وقد اكد الشاعر في شعره هذا « التيه والصلف » الذي نعت به ، فملأ ديوانه فخرا بنفسه وعلو همته ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من المعالي الا احصاها ونسبها الى نفسه وزين بها شعره ، فجاء في جملته صورة لهذه النفس الابية التي لا تحتمل الضيم ، وتقارع الخطوب ، وتطمح ابدا الى اعلى الدرجات :

ألم تعلما اني على الخطب ان عرا ... صبور اذا ما عاجز هيل صبره
فلا عــز حتى يحمل المرء نفسه ... على خطة يبقى بها الدهر ذكره
ويغشى غمارا يتقي دونها الردى ... فان هــو اودى قيل : لله دره

ولعــل القطعة التالية تعكس بعض خصائصه الخلقية السامية التي عرف بها :

قنعت وطرا مني الليالي فلم أبح ... بشكوى ولــم يحنى علي قميص
الغالي بعرضي والنوائب تشتري ... وغيري يبيع العرض وهو رخيص
وقـد علمت عليا كنانة انني ... على ما يزين الاكرمين حريص
اصون على الاطماع وجها لبشره ... اذا عبس الدهر الغلون وبيص
مظهري باعباء الخصاصة مثقل ... وبطني من زاد اللئام خميص

هذا النمط من الخلق الرفيع املى على الشاعر مذهبا خاصا في النظم ، خالف فيه اقرانه ومعاصريه . وقد رسم لنفسه خطوط هذا المذهب واوضح معالمه وحدوده فقال في مقدمة ديوانه : « المدح طعمة الوقاح ، وفي النسيب بالعفيفة ابتهار ، والهجاء يستثير عليك اللئيم ، وقد لهجت بالشعر فانشر به مناقب قومك » .

ومع انه وجه ديوانه فعلا نحو الفخر والغزل فشغلا منل حيزا كبيرا ، الا انه لم يقصره عليهما بل نظم في كل الاغراض الشعرية ، ولكنه كان حريصا على الا يسترسل في الاغراض التي ذمها ، فالهجاء ليس له في الديوان حيز يذكر ، اما المدح وهو صلب الديوان وغرر قصائده ، فكان يتحرى فيه ممدوحيه ويسمو بأماديحه لهم ، فيحيلها فخرا بنفســه وقومه .

وقد افصح عن ذلك بقوله :

ولم انظم الشعر عجبا به ... ولم ابتدح احدا عن ارب
وللفخر اعنى به لا الغنى ... ولكنــه ترجمــان الادب
وللفخر اعنى به لا الغنى ... فمن عصر بيتي جيب العرب

ولنلق الآن نظرة سريعة على اغراض ديوانه الشعرية الرئيسة التي رسمها في الابيات التالية ، وكأنه احب لنفسه الا يعرف الا بها :

فان أمدح أملها او همتها ... فــلا جاها اروم ولا نوالا
والنظم . هــين الفخر رالعمات ... تكون لكل ذي حسب مثالا
واعنت بالنسيب ولست اغشى الحرام ... فيقطـر السحر الحــلالا

مدح الابيوردي نخبة من الناس مختارة ، على رأسها من الخلفاء العباسيين المقتدي بأمر الله ، وولده المستظهر بالله ، ومن السلاطين السلجوقيين ملكشاه وولده محمد ، ومن الوزراء نظام الملك وولداه عبيدالله واحمد ، ومن امراء العرب صدقة بن منصور الاسدي . ومدح ايضا عددا من بني عقيل وجمح وكنانة وخزيمة وشيبان ..

ولعل مــن الظواهر التي طبعت مدحيات الشاعر ادلاله بشعره واعتداده به اعتداداً لا حدود له . يقول مثلا في مخاطبة احد ممدوحيه :

وتصفح الكلم التي وصلت بهــا ... مـرور البلاغة شـدة وليــان
تلقي الي عنانها عــن طاعة ... ولها علــى المتشاعرين حران
والشعر راض ابيه لي مقول ... لرب الشبا وفصاحة وبيــان

ولعل من هذه الظواهر ايضا ان شاعرنا كان من اعف شعراء عصره نفسا ، وابعدهم عن الاستجداء بالشعر .

فقد رسم للمديح منهاجا قويما بين خطوطه المريضة بقوله لاحد ممدوحيه :

ولولاك لــم تخطر ببالي قصائــد ... هوابط في غور ، طوالع من نجد
مهن عذارى مهرها الود لا الندى ... وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

وهو موقف جدير بأن نسجله ازاء ما عرفناه من شعراء عصره من ذهابهم مذهب التكسب في المديح . وليت شعراء العربية التزموا هذا المنهاج في جملتهم ، اذن لصفا المديح في الشعر العربي من كثير من الشوائب التي علقت به وعيبت عليه .

وابرز المعاني التي ترددت في مدائحه المعاني السائرة التي تناولها الشعراء عادة من شجاعة وكرم ورفعة نسب ورجاحة رأي . غير ان شاعرنا امتلك قدرة فائقة على صياغة المعنى الواحد باساليب فصيحة مختلفة وقوالب متعددة ، في حلل ناصعة من البيان تزينه وتكسبه كثيرا من الرواء ، وتضفي عليه كثيرا من الماء والرونق . الا ان ذلك لم يحل دون تأثره بانموذجات سابقة من اشعار الجاهليين والاسلاميين والمحدثين . ومن ابرز من تأثرهم المتنبي والشريف الرضي وابو تمام ، اما المتنبي فاثره فيه اقوى فيما سيأتي الكلام عليه في الفخر والشكوى . واما تأثره بالشريف فيــبرز بترسم خطاه في غزلياته التي وسمها بالنجديات . واما تأثره بأبي تمام فظاهر في اقتباس معانيه المدحية ، وفيما تقدم من تصنيفه مجموعة شعرية على غرار الحماسة .

اما في الفخر فقد استمد شاعرنا اصالته في هذا المجال من مطامحه البعيدة ، وهمته العالية التي فتحت امامه ابواب الاجادة فيه . فقد شغل الفخر من ديوانه جزءا غير يسير ، ولم يأت على نمط واحد ، فكان يرد احيانا في قصائد طويلة ، واحيانا اكثر في مقطعات قصيرة ، ووجدناه بين ذلك منبثا في ثنايا مدائحه .

ولا يخرج ما ضمنه الشاعر فخرياته في الجملة ، عما سبقه اليه المتنبي . ولقد اقتفى فيها اثره اقتفاء واضحا حتى استجزنا ان تطلق عليه لقب المتنبيء الصغير . فلقد شابه الابيوردي المتنبي في تعلقه بالعرب ومحاماته عنهم ، فاذا مدح المقتدي اشاد بمجد العباسيين وعروبتهم وقرابته لهــم :

وقــد ولدتني عصبة ضم جدهـم ... وجدبني ساقي الحجيج عروق

واذا ذكر اصحابه افتخر بنشأتهم العربية وشجاعتهم :

بمي كــل غضنفتى الرداء سيدع ... اصاحب منــه في الوقائع اروعا
فتته ربــا نجد نشب كأنــه ... شبا مشرفي يقطر السم منقعا

وشابه المتنبيء ايضا في شدة الاعتزاز بشعره والاحساس بجودته وعظيم قيمته فهو يقول :

نقت الاعاريب في شعر نامت به ... كأنــه لؤلؤ في السلك منضود
ان كان يعجزهم قولــي ويعجبنا ... اصل فقد تلد الغمر المناقيد

وقد عبر عن وثوقه ببقاء شعره وخلوده على الزمان بقولــه :

كلماني فلائد الاعناق   سوف تفنى الدهور وهي بواق
دل فيها الذهن الجلي بالفا   ظ رقاق على معان دقاق
مقريضي يراه من ينقد الاشـ   عار سهل المرام صعب المراقي
واليه يصبو الرواة وفيه   مع شكل الحجاز ظرف العراق

واخيرا شابه كل من الشاعرين صاحبه في اخلاقه وطموحه وتطلعاته . وترتب على ذلك التزامات سلوكية ادت بالشاعرين الى مجانبة اللهو والمجون . فقد عرف كلاهما بعفته وتنزهه عما لا يليق بالرجال ، وصور كل منهما سمو اخلاقه فقال المتنبي :

وترى الفتوة والمروة والابوة   في كل مليحة ضراتها
هن الثلاث المانعاتي لذتي   في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

وقال الابيوردي :

لعمر ابيَ وهو ابن من تعرفونه   لقد ذل عرض لم يصنه اباه
ايقتادني نحو الدنية مطمع   علي الذن ان لم اقره عقاه
لوت طرفي حبلي من الذل عمة   لها بمفالظ الشعرين ثواء

وادت هذه الاخلاق الى تعالي الشاعرين وترفعهما عن الناس وتحقيرهم والغلو في ذلك غلوا كبيرا . وقادهما ذلك كله الى ترديد الشكوى من كل شيء ، فهما يطمحان الى المعالي ويسعيان اليها ، ويستنكران تقلب الدهر وتوالي مصائبه . ولكن لكل منهما موقفا في مواجهة تلك المصائب : فشاعرنا يستهين حادثات الدهر ويسمو بعزته عليها ، ويعتصم بالصبر ازاءها ، ويقول :

تنكر لي دهري ولم يدر انني   اعز واحداث الزمان تهون
فظل يريني الخطب كيف اعتداؤه   وبت اريه الصبر كيف يكون

والمتنبي يضحي في سبيل مطامحه ابلغ التضحية :

تريني اقل ما لا ينال من العلا   فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وجماع القول ان الشاعرين تشابها في الاعتداد بالنفس والعزوف عن الدنايا والترفع عن الملذات . ولكن شاعرنا كان اكثر قصدا واعتدالا ، على ان له اصلا في النسب والملك يجعل كلامه اقرب الى القبول وادنى الى التصديق .

وفي الكلام على الغزل نذكر ان شاعرنا احب العرب وعشق حياتهم الاولى . وبانت امارات ذلك في شعره الذي صور فيه تلك الحياة ومستلزماتها البدوية من الترحل والفراق وشيم البرق وجوب المهامه ، وكثر في شعره ذكر اماكن بأعيانها مثل وجرة والعقيق وحضن والعذيب .

واحب مع العرب وحياتهم عفة نسائهم وتغنى بكريم محتدهن ، وتطرب بذكر اسمائهن وترديدها . وقد ضمن ذلك كله نوعين من شعره الغزلي : الغزل التقليدي في مطالع القصائد ، وغزل المقطعات التي سماها النجديات . وبين النوعين فروق في المحتوى والشكل ابرزها ان المطالع الغزلية اشعار مصنوعة ممهدة لما وراءها من فنون الشعر ، وان المقطعات نفثات وجدانية اقرب الى روح الغزل وصفاء العاطفة . واكتفي من غزل المطالع بالتمثيل لما تستتبعه مشاهد التحمل والفراق من وقوف على الطلول ومناجاة الديار . فقد عكس في لوحه بقايا الديار ووقوف المحب امامها ذاهلا متأملا ، عكس الحالة النفسية لهذا المتيم ، متمثلة في مماطلة الديار ، والتحسر على ما فعلت بها الايام ، والبكاء لها بكاء مرا ، يقول :

واشلاء دار بالمحصب من منى   وقفت بها والارحبية تهدر
اسائلها والعين شكرى من البكى   وهن نحيلات المعالم دثر
واستخبر الاطلال عن ساكني الحمى   فلا الدمع يشفيني ولا الربع يخبر
كأن ديار العامرية باللوى   صحائف تطويها الليالي وتنشر
فهل عبرة تقضي المعاهد حقها   كما يستهل اللؤلؤ المتحدر

اما المقطعات النجديات فهي تفيض رقة وعذوبة ، وتقطر اسى وحنينا ووجدا على نجد وساكنيه . وحسبنا منها هذه المقطعة :

خليلي هذا ربع ليلى بذي الغضى   سقى الله ليلى والغضى وسقاكما
وقد كنتما لي مسعدين على البكى   فما لكما لا تسعدان اخاكما
اظل وحيدا لا ارى من احبه   وهل بالحمى لي من خليل سواكما
ولو غاب عني واحد منكما وهت   قوى الصبر لا اوهى الزمان قواكما
فكيف الود الهم عني تجلدا   وقد غبتما عن ارض نجد كلاكما

وليست النجديات نسيج وحدها في هذا العصر ، فقد عمل الشريف الرضي مجموعة غزلية واسعة الشهرة عرفت بالحجازيات ، وعمل الطغرائي مجموعة اخرى لها الاسم نفسه . وقد حفظت نجديات الابيوردي كاملة مستقلة ، في حين بثت حجازيات الشريف والطغرائي في ديوانهما . وتشير الى الصلة الوثيقة بين نجديات الابيوردي وحجازيات الشريف واسباب هذه الصلة التشابه في التسمية ولو انها لا تدل على مواطن النظم ، وان في النجديات مقطعات نظمت على شاكلة مثيلاتها من الحجازيات وعلى رويها وعورضت بها . ومن قبل التقى الشاعران في المبادىء والغايات ، فكلاهما يرى نفسه من خلال نسبه ، ويعدها للوصول الى ما ترمي اليه ، وهو ما تعكسه النجديات والحجازيات كلتاهما .

في احد ايام شهر ربيع الاول من سنة سبع وخمس مئة للهجرة ، وقف الابيوردي في حضرة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه في حاضرة ملكه اصبهان ، فخانته رجلاه فسقط وحمل الى منزله . وهكذا قضى هذا العلم بعد ان امضى حياة حافلة وخلف ديوانا ضخما يعد ثروة لغوية وشعرية كبيرة ، يستجلي الناظر فيها كنوزا من فصيح الالفاظ وبليغ العبارات ورائع الصور . ويجمل ان اختم الكلام بعرض لوحة من لوحات الوفاء : مرثية تركها الطغرائي في صديقه الابيوردي ، قال فيها :

صحبتني والشباب الغض ثم مضى   كما مضيت ، فما في العيش من وطر
هبني بلغت من الاعمار أطولها   او انتهيت الى آمالي الكبر
فكيف لي بشباب لا ارتجاع له   ام اين انت ؟ فما لي منك من خبر
سبقتماني ولو خيرت بعدكما   لكنت اول لحاق على الاثر

اربد ــ جامعة اليرموك ــ الإردن   عمر الاسعد

هناك صباح آخر

*

سلافـة العامـري

*

دمشـــق

اطعموا النار تفاصيل سؤال
عن طلوع الشمس
عن سير الرياح
في هدير البحر ..
في دفق الينابيع
و خفق الجناح
مارد يسأل عن هذا الجحيم
عن مصير الحلم
في عرس الجراح

قد كسرت الطوق في الاعماق
والاحداق تجتاز البريق
النداء اللغز آه
والقذائف تفيق
عانقي الشعر وصلي
ينتشل هذا الغريق
ساكنت عيناك نبض الحلم
في كل حريق

جددي بيروت شعري
وانفجاري
وتهجي الف ضوء
الف ظل
في مراسيم انتشاري
اثني عشرة الاف
قتيل وجريح وحبيب
يا زمان الشعر يا بيروت
هل للشعر في دمعي نصيب

اه من دمعي
ومن شعري
ومن كل البيارق
آه من موعد ابحار الزوارق
ان في حنجرتي الف مقاتل
الف درب عمرها كل الرياح
آه بيروت
على باب النهار
احرقوا فيك الصباح

محمد العدناني

عـثرات الادبـاء

بقلم محمد العدناني

* * *

جبر العظم والعظم

ويخطئون من يقول : جبر العظم (بضم الميم) ، ويقولون ان الصواب هو : جبر العظم (بفتح الميم) ، لان تهذيب الازهري والالفاظ الكتابية للهمذاني لا يذكران سواها . ولكن : جمع العجاج بـين المتعدي واللازم ، فقـال : « قد جبر الدين الاله فجبر » .

واجاز جبر العظم (بضم الميم وفتحها) : ابن السكيت (باب الكسر) ، والصحـاح ، والراغب الاصفهاني ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعله فهو : جبر العظم (بفتح الميم) يجبره جبرا ، وجبورا ، وجبارة (بكسر الجيم) . وجبره تجبيرا .

ويجوز ان نقول ايضا : انجبر العظم ، واجتبر ، وتجبر .

اجبره على السفر ، جبره عليه

ويخطئون من يقول : جبره علـى السفر ، ويقولون ان الصواب هو : اجبره على السفر ، كما جاء في الالفاظ الكتابية للهمذاني ، وشرح الفصيح لابـن درستويه ، والصحاح ، والمختار . ولكن : اجاز استعمال الجملتين : اجبره على السفر وجبره عليه كلتيهما كل من الفراء ، واللحياني (جبره لغـة تميم وحدها) ، وعامة العـرب يقولون : اجبره) ، وابي زيد الانصاري ، وابي عبيـد البكري ، وابن دريد ، والازهري ، وابي علي الفارسي ، والراغب الاصفهاني ، وابن الاثير (اجبر اكثر) ، والمغرب (لغة ضعيفة) ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج (اجبر اعلى) ، والمد ، ومحيط المحيط (جبره لغة ضعيفة) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولا يذكر معجم الفاظ القرآن الكريم الا : جبره على الامر . اما فعله فهو : جبره يجبره (بضم الباء) جبرا (بسكون الباء) وجبورا (بضم الجيم) ، فهو مجبور . وهي ليست لغة تميم وحدها ، كما قال اللحياني ، بل ان كثيرا مـن اهل الحجاز يستعملونها كمـا قال الازهري والزبيدي . وكان الشافعي يستعملها ، وهـو حجازي فصيح . ويرى الازهري ان (جبرته) و (اجبرته) لغتان جيدتان ، غير ان النحويين استحبوا ان يجعلوا (جبرت) لجبر العظم بعد كسره ، وجبر الفقير بعد فاقته ، وان يكون الاجبار مقصورا على الاكراه .

الضرائب مجبية او مجبوة

ويقولون : الضرائب المجباة (بضم فسكون) قليلـة . والصواب : الضرائب المجبيـة (بفتـح فسكون فكسر فتضعيف) او المجبوة (بضم الباء وتضعيف الواو) قليلة ، لان الفعل هو :

جبى يجبي الضرائب جبيا (بفتح الجيم) وجبايـة (بكسرها) فهي مجبية (بفتح فسكون فكسر فتضعيف) . وجباها يجبوها جبوا وجباوة (بكسر الجيم) فهي مجبوة (بضم الباء وتضعيف الواو) . وليس في الضاد : اجبى الضرائب اجباء فهي مجباة (بضم فسكون) .

ومعنى اجبى (اصله اجبأ (بفتح فسكون) كما قال الصحاح واللسان) : باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه . او : باع سلعته بالدين الى اجل ، ثم اشتراها نقدا مما باعها . ومنه الحديث : « من اجبى فقد اربى » اي دخل في الربا .

البهلـول

ويقولون : فلان بهلول (بفتح الباء) ، ويعنون به الابله والمعتوه ، وهي كلمة عامية .

وفي المعاجم كلمة البهلول (بضم الباء) التي تعني :

(١) الضحاك من الرجال (عن الازهري) . (٢) الحيي الكريم (عن الازهري وابن عباد) . (٣) السيد الجامع لكل خير (عن السيرافي) .

وانشد ابن بري لطفيل الغنوي :

وغارة كحريق النار زعزعها مخراق حرب كصدر السيف بهلول

ويقال : امرأة بهلول أيضا (جامع الكرماني ، وتهذيب الازهري ، واللسان ، والمد) .

اما جمع البهلول فهو : بهاليل . جاء في قصيدة شوقي التي رثى بها ملك الحجاز ، الملك حسينا الاول الهاشمي :

يـا ابا العلية البهاليل سل ؟ باطك الزهر هل من الموت عاصم ؟

اجدب الوادي ، وجدب

ويخطئون من يقول : جدب (بفتح الدال) الوادي ، ويقولون ان الصواب هو : اجدب الوادي ، لان النهاية لم يذكر سوى (اجدب) ، اذ جاء فيه : (وفي حديث الاستسقاء « هلكت الاموال واجدبت البلاد » اي قحطت وغلت الاسعار) .

ولان الصحاح والمختار اكتفيا بذكر الفعل (اجدب) .

ولكن :

اجاز لنا الفراء والتهذيب ان نقول : اجدب الوادي وجدب (بضم الدال) . واجاز جدب (بفتح الدال) الوادي واجدب كل من ادب الكاتب ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد الذي ذكر (اجدب) في الذيل ، والمتن ، والوسيط .

ويجوز ان نقول ايضا : جدب (بفتح فضم) الوادي : الفراء ، والتهذيب ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعله فهو كما جاء في المتن : جدب (بفتح الدال) يجدب (بضمها) جدبا (بفتح فسكون) ، وجدب (بكسر الدال) يجدب (بفتحها) جدبا (بفتح فسكون) ، وجدب (بفتح فضم) يجدب (بضم الدال) جدوبة .

هو جاد في امره ومجد فيه

ويخطيء المنذر من يقول : فلان مجد (بضم فكسر فتضعيف) في الامر ، ويقول ان الصواب هو : فلان جاد (بتضعيف الدال) في الامر ، لان الفعل — حسب رأيه ورأي المصباح المنير — هو : جد في الامر فهو جاد فيه (الاصمعي ، والتهذيب ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط) .

وفعله الثلاثي هو : جد (بفتح الجيم) يجد (بكسرها) او يجد (بضمها) جدا (بكسرها) ، وجدا (بفتحها) لذا قل :

(أ) فلان جاد (بمضاعفة الدال) في الامر .

(ب) أو فلان مجد (بضم فكسر فتضعيف) فيه .

الجديد (الحديث والمقطوع)

جاء في التضاد : الجديد : ضد الخلق (بفتح ففتح) ، والجديد ايضا : الحبل الخلق المقطع . والصواب هو ان معنى جد (بفتح فتضعيف) الشيء (بفتح الهمزة) : قطعه ، وليس : ابلاه .

وفي اللغة العربية : جد الشيء يجده (بضم الجيم) جدا (بفتح فتضعيف) : قطعه . والقطع لا يفرض علينا ان يكون ما نقطعه باليا . فقد نجد (بضم الجيم) (اي نقطع) جزءا من نسيج حديث ، ونصنع منه ثوبا او قميصا . فهذا الجزء الحديث نسجه هو مجدود (مقطوع) من جزء اكبر منه ، حديث نسجه ايضا . فالجزء المجدود هو جديد (فعيل بمعنى المفعول) . وهذا الجديد (المقطوع) حديث ، لا بال . لذا لم يقل ابن الانباري في كتابه (الاضداد) ان (الجديد) هو البالي ، بل يقال : الجديد هو المقطوع . واستشهد ببيت الوليد بن يزيد :

ابى حبي سليمى ان يبيدا واضحى حبلها خلقا جديدا

وفسر (الجديد) فيه بمعنى (المقطوع) . ولو كان معنى الجديد هو البالي لما اضطر الشاعر الى ان يضع (خلقا) بفتح ففتح ، اي : باليا ، قبل (جديد) . ونحن قد نجد (بفتح فضم فتضعيف) القديم البالي ، فيصبح جديدا (مقطوعا) ايضا .

ثم ذكر ابن الانباري ان بعض اللغويين قالوا : « معناه : واضحى حبلها خلقا عندها ، جديدا عندي في قلبي ، لاني لم املها كما ملتني ، ولو لم انو قطيعتها كما نوت قطيعتي » . فقد اراد اولئك اللغويون ان يبعدوا معنى (البلى) عن (جديد) ، فقالوا ان الشاعر يعني به (الحديث) .

ويؤيد رأيي هذا ان المعاجم والكتب الآتية قالت :

(أ) ان الجديد هو (المقطوع) ، ولم تقل انه (البالي) .

(ب) ان الجديد هو (الحديث) .

ابن الانباري ، والازهري ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والمحيط (الذي قال : ثوب جديد : كما جده الحائك) ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط .

ومما قاله اللسان : « الجدة (بكسر فتضعيف) نقيض البلى ، يقال : شيء جديد ، والجمع : أجدة (بفتح فكسر فتضعيف) ، وجدد (بضم فضم) ، وجدد (بضم ففتح) » . وقال أيضا : « ثوب جديد : مجدود ، يراد به

حين جده الحائك . اي : قطعه » . وهل يقطع الحائك ثوبا قديما ؟

وقيل ملحفة جديد (مقطوعة) ، لانها بمعنى (معمولة) . ولكن ابن سيده يجيز : ملحفة جديد وجديدة . وقال سيبويه : ملحفة جديدة (قليلة) . وأنا ارى ان (جديدة) هنا صواب ، لانها بمعنى (الفاعل) ، من جد الشيء (بضم الهمزة) يجد (بكسر الجيم) جدة (بكسر فتضعيف) : صار جديدا (نقيض خلقا) .

اما اصل معنى هذه المادة (الجد) بفتح فتضعيف ، في اللغات السامية فهو القطع . وقد ذكر (التضاد) العبرية والسريانية .

ولست ارى (الجديد) من الاضداد ، وارى ان معناه هو :

(أ) الحديث .

(ب) المقطوع (المجدود) حديثا من الثوب ، ولا تعني الثوب المقطع . لذا انصح باستعمال (الجديد) بمعنى (الحديث) . فالقرآن الكريم لم يأت بهذه الكلمة التي ذكرت فيه ثماني مرات ، الا بمعنى (الحديث) ، كما جاء في الآية ١٦ من سورة فاطر .

جدف السفينة بالمجداف او جذفها بالمجذاف

ويخطئون من يقول : جذف السفينة بالمجذاف ، او جذف بالسفينة ، ويقولون ان الصواب هو : جدف السفينة بالمجداف او بالمجذاف ، اعتمادا على الازهري الذي اكتفى في « التهذيب » بذكر : جدف الملاح السفينة : اذا دفعها بالمجداف ، ثم استشهد ببيت اعشى همدان :

لمن الظعائن سيرهن تزحف عوم السفين اذا تقاعس تجدف

واعتمادا على المغرب ، واللسان ، والتاج ، واقرب الموارد (في الذيل) ، والمتن ، والوسيط .

ولكن :

اجاز لنا ان نقول : جذف بالمجذاف ، وجذف السفينة ، وجذف بالسفينة كل من :

(١) الصحاح والمختار ، اللذين قالا : المجذاف : ما تجذف به السفينة .

(٢) والمد (الذي اجاز لنا ان نقول : جذف بالمجذاف ، وجدف بالمجداف ، وجذف السفينة وجدفها ، وجذف بالسفينة وجدف بها) .

(٣) ومحيط المحيط . (٤) واقرب الموارد

وقد اخطأ محيط المحيط حين قال : جدف الملاح : ساق السفينة بالمجداف ، بدلا من : جدفها او جدف بها ، لان التجديف هو الكفر بنعمة الله وعدم الاقتناع بها ، ففي الحديث : « شر الحديث التجديف » .

ان المصادر التي اهملت ذكر الفعل (جذف) واكتفت بذكر الفعل (جدف) ، قالت جميعها ان مجداف السفينة ومجذافها واحد ، كما قال معجم مقاييس اللغة في مادتي « جذف » و « جدف » وما دام المجداف هو الذي تجدف به السفينة ، فان المجذاف يجب ان يكون الاداة التي تجذف بها السفينة . وليس من المعقول ان يوجد اسم الآلة (المجذاف) دون ان يوجد له فعل يشتق منه ، هو الفعل : (جذف) كما قال الصحاح والمختار . لذا يجوز لنا ان نقول :

(١) جدف السفينة يجدفها (بكسر الدال) بالمجداف جدفا ، او : جدف بالسفينة .

(٢) جذف السفينة يجذفها بالمجذاف جذفا ، او : جذف بالسفينة .

الكلام الجزل لا الجذل

ويطلقون على الكلام القوي الفصيح الجامع اسم الجذل (بفتح فسكون) ، والصواب هو الجزل (بفتح فسكون) كما تقول المعجمات . ومن معاني الجزل :

(أ) الحطب اليابس ، وقيل الغليظ ، وقيل ما عظم من الحطب ويبس ، ثم كثر استعماله حتى صار كل ما كثر جزلا (بفتح فسكون) ، اي غليظا قويا . (ب) اللفظ الجزل : خلاف الركيك . (ج) رجل جزل : ثقف عاقل اصيل الرأي ، والانثى جزلة وجزلاء . (د) عطاء جزل : كثير (هـ) امرأة جزلة : عظيمة الردفين .

وهنالك الجذل (بكسر فسكون) الذي هو اصل الشجرة بعد ذهاب الفرع . والجمع : اجذال ، وجذال ، وجذول ، وجذولة ؟.

وينقل المد عن احدى نسخ القاموس الجذل (بفتح فسكون) ايضا ، ولكنني لم اجدها في نسختي .

اما الجذل (بفتح ففتح) فهو الفرح ، وفعله : جذل (بفتح فكسر) يجذل (بفتح الذال) جذلا (بفتحها ايضا) ، فهو جذل (بكسرها) ، وجاذل (في الشعر) ، وجذلان . والجمع جذالى (بفتح الجيم) وجذلان (بضمها) ، والانثى جذلاء ، وجذلى ، وجذلانة (بفتح الجيم فيها كلها) .

المجرفة او المجرف لا المجرفة (بفتح الميم)

ويسمون ما يكسح به التراب ويجرف مجرفة (بفتح فسكون) ، وهو اسم آلة على وزن :

(١) مفعلة (بكسر فسكون ففتح) (مجرفة) : الصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) او مفعل (بكسر فسكون ففتح) (مجرف) : اللسان ، ومستدرك التاج ، والمد ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جرفه يجرفه (بضم الراء) ، جرفا (بفتح فسكون) ، وجرفة (بفتح فسكون) .

محمد العدناني

في انتظار حبة القلب

*

ليلى السايح

*

الكويت

مزق القلب استفاضت
واحاطت بكياني
تدخر العويل ،
وتزهر بالنجيع الاحمر .
اي شوق قاتل يشدني اليك
ايها المتوسد ثنايا وجداني
اكتبها صارخة ، بوجه العالم :
انت .. انت وحدك الحقيقة ،
وكل ما عداك زيف وباطل

يا وليد القلب
حملت بك في ليل الفيضان
الاقتحام كان ثوريا ،
وولدت ممتلئا بالتحدي
تشتعل فيك نواة الانفجار .

عجنت بماء الالم
بملح الحرية
بقمح الصمود ،
وتخمرت .. تخمرت ..
وعلى نار الحقيقة نضجت ..
وتشكلت ..
نجم يتالق في سماء التضحية ــ العطاء
سماء الحب ــ الحقد ،
وانفجرت ..

ايها المتوج باكاليل الغار
متى اراك ؟
فتزهر كل مواسمي ،
يرحل عنها الذبول ..
واضمك .. احتويك .. فتتالق سمائي
بالف لون .. بكل الضياء .

عد .. ليعود الربيع
وتزغرد عصافير الفرح ..
دمك الغالي انبثق
ليغسل عاري
وتفيض انهاري
بطوفان الامل .

يا امتدادي .. في الارض
يا حبة الزيتون ..
يا خضرة الزعتر
يا خميرة انسانية
زرعت في ضمير النائمين .
لعل ليلهم الطويل
ياتي بالفجر !

الدكتور احمد زكي ابو شادي

الدكتور احمد زكي ابو شادي والاوبرا الشعرية

بقلم الدكتور محمد سعد حسن شنوان
مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

عرف الدكتور احمد زكي ابو شادي « الاوبرا » او القصة التلحينية عادة ، بأنها : تلك الرواية الملحنة ، التي لروح الموسيقى السيادة عليها ، وبعبارة اخرى انها الحكاية الغنائية التي تمثل للذة الاستمتاع الى غنائها(۱) .

ثم يعلق على هذا التعريف فيقول : ومن يقبلون هذا التعريف يذهبون في تاريخهم للاوبرا الى انها نشأت في فرنسا سنة ١٢٤٠ ميلادية .

اما اذا ترقينا في فهمنا للاوبرا ، واعتبرناها مجمع الفنون الثلاثة : الشعر في ارقى اساليبه وصوره ، والموسيقى في اسمى نغماتها ، واصدقها وفاء لموضوعها ، والتمثيل في ابرع مظاهره المجسمة لفكرة الشاعر المتفنن فاننا نرجع بنشأتها الحقيقية الى اواخر القرن السادس عشر ، عندما وضع (جاكوبوبري) قصة « دفني » سنة ١٥٧٠ م حيث اخرجت في « البلازوكورسي » بمدينة فلورنسا (فلورنزة) بيد اننا كلما دققنا في تطبيق هذا التعريف الاخير وجدنا ان الاوبرا الراقية لم تنشأ قبل القرن الثامن عشر(۲) .

ويرى ابو شادي ان الاوبريت ونحوها من المهازل الموسيقية والروايات التلحينية الفكهية والاستعراضات الموسيقية ليست من صميم الاوبرا الراقية في شيء ، ولا يجوز الجمع بينهما في تعريف .

ومن المؤكد ان الفنون في اوروبا لم تظهر بمظهرها الصحيح قبل ولادة الاوبرا وقد ولدت الاوبرا الراقية في المانيا والنمسا ثم ايطاليا وفرنسا ، وكان تاليف الاوبرا مقترنا دائما بظهور شاعر فذ وموسيقار ماهر ، ولم يجمع هاتين الموهبتين سوى واحد فقط هو النابغة « ريتشارد فاجنر » الذي اكرمه مواطنوه وبنوا له في مدينة « بيروت » من اعمال المانيا ملعبا خاصا بـه ، ووقفوه على تمثيل رواياته الغنائية وجعلوا له في كل عام موسما تحج اليه الشعوب من سائر انحاء الارض ، لتشهد عجائب فنه في الشعر والموسيقى .

ولما كانت النفس البشرية مثقلة في العصور المتأخرة بالهموم والمتاعب فـ لذا كانت في مسيس الحاجة الى ما يخفف عنها دوما تلك الهموم والمتاعب ، ولا شك ان الاوبرا الحديثة بجمعها بين الشعر والغناء والموسيقى فضلا عما فيها من ارتقاء بالذوق الفني لجمهرة النظارة فان هذه الجمهرة مـن الناس تجد فيها تزجية لاوقات الفراغ ، وعاملا من عوامل التسلية ، ولذة للحس وامتاعا للشعور والنفس ، والا فان (السيمفونيات) الرائعة التي الفها كبار الموسيقيين في جميع انحاء العالم تصبح عديمة القيمة ، او غـير ذات اثر في ترقيق الحس ، وتخدير الشـعور ، وامتاع النفس ، وأذكاء روح الخيال ، وحمل الانسان على اجنحة شفافة مـن رائع النغم ، وبديع الالحان ، والصعود به على مراقي الحب والخير والجمال الى عالم خالص من الرؤى الوردية الحالمة التي تطمح اليها نفوس الكثيرين .

ولقد ادرك « بيتهوفن » ــ مثلا ــ أن للموسيقى الخالصة حدودا لا تستطيع تجاوزها وانها مهما ارتقت وكملت فلن تعبر الا عن مشاعر غامضة لا يمكن تحديدها ، ولا تؤثر في النفس الانسانية على نحو واضح ، بل تترك فيها احاسيس مبهمة فحسب ، فانه قد سعى الى تحديدها وصبغها بصبغة عيانية بفن آخر هو الشعر ، وهكذا مزج هذا الموسيقى القدير في الجزء الاخير من سيمفونيته الاخيرة بـين الشعر والموسيقى ، وبين انغام الالات والصوت الانساني الحالم في وحدة متناسقة اسمعت العالم كله تقريبا

انشودة الفرح ، فتغلغلت في الاعماق ، ونفذت الى اغوار من الروح لم تبلغها من قبل قصيدة شعر أو لحن موسيقي(٣) .

عرف العالم الراقي كيف يستفيد من تلك الفنون الراقية حين تتحد في وحدة نغمية تخدر الحس وتؤنس النفس ، في الوقت الذي راح فيه عالمنا العربي ينغمس حتى اذنيه في التهريج الزائف الذي تنفر منه النفس اشد النفور ، ولا تتعشقه الا طائفة العوام ممن لا يجيدون التعامل مع تلك الفنون الراقية ..

ولا شك ان الدكتور احمد زكي ابا شادي كان شخصية متعددة الجوانب فهو الطبيب الشاعر المتفنن الرسام القدير النحال العليم بأسرار النحل ، ثم كان لرحلاته المتكررة بين دول العالم المتحضر ، وكذا لثقافته المتعددة الجوانب ، وكذا علمه بالانكليزية واطلاعه الوسيع على الثقافة الغربية في منابعها الاصيلة ، كان لهذا كله اثر واضح في اتصال هذا الشاعر الكبير بالفن في ارقى صوره ، وكان فن الاوبرا الذي يجمع بين الشعر والتمثيل والغناء والموسيقى من الم الموضوعات التي اولاها عنايته واهتمامه .

كتب ابو شادي عدة اوبرات شعرية ، وكانت اوبرا (احسان) التي نشرها في عام ١٣٤٥ هـ/١٩٢٧ م من اوليات اعماله الاوبرية ، ونشرتها رابطة الادب الجديد بالقاهرة وطبعتها المطبعة السلفية بمصر .

ثم اردفها باوبرا ثانية ، هي اوبرا (الآلهة) التي ظهرت مطبوعة في عام ١٩٢٧ م ايضا ، ثم صدرت له عدة اوبرات اخرى بعد ذلك من امثال : اوبرا « اردشير » و « الزباء » او زنوبيا ملكة تدمر ، وغيرها .

وموضوعات هذه الاوبرات منها ما اختاره من التاريخ القديم او الحديث ، ومنها ما اختاره من عالم الاساطير ، ومنها ما اعتمد فيه على الرمز ، وغير ذلك .

وقد كتب الدكتور ابو شادي في تصديره لبعض هذه الاوبرات ، او في تذييله لها معرفا بهذا الفن ، فن الاوبرا ، وبمدارسه في الغرب كالمدرسة الفرنسية والمدرسة الايطالية والمدرسة الالمانية ، ومبينا رأيه في مزاملة الموسيقى للشعر ومشيرا ايضا الى تأخرنا عن ملاحقة الغرب في هذا الفن ، فقد كتب يقول : ليس لنا حتى الآن ما يصح ان يسمى (باوبرا مصرية) وان كنا نرى ان هذا من الواجبات التي تحدو بنا الى تكوينها بدل ان نكتفي بالاسف واليأس(٤) .

وكانت اول اوبرا مصرية لحنت على دار الاوبرا بالقاهرة غير عربية بل كانت غريبة عنا ، وقد الفها « مارييت بك » الفرنسي بناء على طلب اسماعيل خديوي مصر في تلك الآونة ، ونظرا لذلك فقد فشلت هذه الاوبرا وذهبت آمال اسماعيل سدى بعد ان بلغ جملة ما انفقه على اخراجها نحو مليون فرنك .

ولغة الاوبرا لا يكفي ان تكون مهذبة بل لا بد ان يتجلى فيها الشعر الراقي السليم وهو في نظر ابي شادي ليس انتصارا للغة التقعر ، ولا للغة المبتذلة او العامية وانما كان يقصد به الاعتدال .. يقول : « وحسبنا انه من الميسور جدا التأليف سواء نظما او نثرا بلغة صحيحة سهلة لن يشق على العامة فهمها ولن يأباها الخاصة »(٥) .

اما التلحين فقد كان ابو شادي يرى انه في غنى من البرهنة على ضرورة التعاون بسخاء مع الملحنين فالمؤلف والملحن عمودا النهضة المسرحية للاوبرا واما عن الغناء والتمثيل فيرى ان من واجب الحكومة العمل على رعاية المغنين والممثلين حتى يبدعوا في الغناء والتمثيل على نحو يجعل الاوبرا المصرية ذات شخصية مستقلة عن الغرب .

ويرى ان ذلك العمل الفني لن ينجح في مهمته النجاح المأمول ما لم يبذل كل من الشاعر والملحن والمغني اقصى المجهود لاداء التصوير الفني في دائرة اختصاصه على احسن ما يكون كأنما لا يعتمد على مجهوده وحده .

لم تسلم اعمال ابي شادي في ميدان الاوبرا من النقد ، بل اتجهت اليها سهام النقد منذ البداية ، فاوبرا (احسان) على سبيل المثال لم يكد يخرج بها هذا الشاعر على الملا حتى نقدها محمد علي حماد المحرر المسرحي لجريدة « البلاغ » آنذاك ، ورأى ناقد ان ابا شادي لا يعدو ان يكون نجار الشعراء لانه استخدم كلمتي « هكذا » و « ايضا » في فاتحة تلك الاوبرا ، وقد رد ابو شادي على كل نقد وجه اليه ، ولم يتهاون لحظة واحدة عن رد كل تهجم وجه اليه ، عارضا اثناء ذلك ثقافته الواسعة وعلمه الغزير الجم ، محاولا اقناع هؤلاء المتهجمين بحاجة امتنا الى مثل هذا اللون من التأليف .

وبعد تصديره لاوبرا « الآلهة » من تلك الردود التي حاول من خلالها ان يسقط كل تلك النقود التي سبقت ظهور هذه الاوبرا ، وفيه نحس بأن الشاعر يدافع عن اعماله الادبية والتمثيلية والاوبرية دفاع المستميت ، ويركز على ان الموازنة بين العبرة الصحيحة وبين الدرامة او المأساة الخالصة خطأ محض ، فان لم يكن جهلا باصول الفن فهي مغالطة وسفسطة ، ثم يقول : « وهذا مع الاسف من الادواء المزمنة التي ابتلي بها معظم النقاد في مصر فلا هم يتعبون انفسهم بالاطلاع الوافي قبل التهافت على النقد ، ولا هم يتركون غيرهم يرشدهم بخبرته ارشادا خالصا لوجه الادب والفن »(٥) .

وقد نقده الدكتور محمد مندور ؛ وتفاوت نقده بين العنف واللين ، وان كان هذا النقد يجنح في عمومه الى التهوين من قيمة تلك الاعمال التي راد بها ابو شادي شعراء العربية على اختلاف مراحل تاريخنا الادبي الطويل في هذا الفن بلا شك(٦) .

ولكننا بعد هذه الفترة منذ عام ١٩٢٧ م الى عامنا هذا نسال : هل نجحت اوبرات ابي شادي ؟ ام انها آلآن تقبع في زوايا النسيان ، بعد الفشل الذي لاحقها وهي لا تزال وليدة في المهد ؟ ومن حقنا ان نسال .. ومن حقنا كذلك ان نبحث عن اسباب هذا الفشل .

لقد فشلت اوبرات الدكتور احمد زكي ابي شادي ، واصبحت تلك الاعمال وما صاحب نشأتها من دراسات ونقود علامة مميزة في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، فهي وان لم نجد لها امتدادا عصريا الا انها كانت محاولة جريئة من الشاعر بلا شك ، ومن يدري ؟ فلربما تنكشف الايام عمن يعيد لهـذه الخطوة الجريئة قيمتها المفقودة ، وليس ذلك ببعيد فيما ارى .

ولعلنا لا نبعد عن الصواب اذا ارجعنا فشل تلك الاوبرات الى الاسباب الآتية :

اولا ــ ان الاوبرا لا تخاطب في العادة الا اصحاب الذوق العالي الرفيع ، ولا يعقل مطلقا ان نطلب الى قوم يستسيغون الاستماع الى حكايات ابي زيد الهلالي سلامة ، والزير سالم ، والظاهر بيبرس ، وغيرها على ما فيها من خرافات ان يجلسوا ساعة او اكثر في الاستماع الـى الموسيقى الراقية المختلطة بالشعر الرفيع والتمثيل الجيد ، ومما يوشح كلامنا ان واحدا كريتشارد فاجنر حين ذهب الى باريس لعرض اوبراته خاب امله وفشل مسعاه بعد ان ايقن ان جمهورها لـن يتذوق فنا متغلغلا في اعماق النفس البشرية ، وانما يريد ان يرقص ويلهو فحسب(٧) .

ثانيا ــ الهجوم العنيف الذي جوبهت بـه تلـك الاوبرات منذ ظهورها ، وما كان له من آثار سيئة في جعلها مشلولة الحركة وهي لا تزال وليدة في المهد .

ثالثا ــ ان الاوبرا في قيامها على تضافر جهود كل من الشاعر والمغني والموسيقي في كنف التمثيل على خشبة المسرح يفضي بالضرورة الى وجوب ايمان الجميع بهذا العمل الفني الراقي ايمانا يدفع بهـم قسرا الى تطويع ادواتهم وحواسهم ومشاعرهم لشتى المتطلبات الفنيـة الملحة لانجاح هذا العمل ، ولا شك ان اي قصور يطرأ على هذا العمل من اي جانب فانه يؤدي حتما الى فشله تماما ، وقد حدث هذا فعلا مع اوبرات ابي شادي ، فماتت من حيث ولدت .

رابعا ــ طول البحور الشعرية في بعض اجزائها الامر الذي يتنافى وبساطة التلحين والاداء ، وكان طول الفقرات احيانا وما يسببه للمغني من اجهاد مسؤولا ايضا عن فشل تلك الاوبرات .

خامسا ــ ولعل من تلك الاسباب ايضا ما فهمه بعض الشعراء من ان الاوبرا مسرحية غنائية وكفى فالفوا اوبرات او مسرحيات غنائية جاءت صورة مشوهة لفن الاوبرا بمعناه الحقيق ، ولم تكن سوى مسرحيات قابلة للتمثيل بين الغناء والموسيقى ، كما هو الشان في « اغنية الرياح الاربع » و « ارواح واشباح » وكلاهما لعلي محمود طه المهندس الشاعر .

وعلى الرغم من هذا فانه يبقى للشاعر الدكتور احمد زكي ابي شادي فضل السبق في انشاء هذا اللون الفني لا في مصر وحدها ، بل في بلاد العالم العربي تقريبا .

الهوامش :

(١) اوبرا احسان طبع المطبعة السلفية بمصر عام ١٩٢٧ م ص ٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق من ص ٦٦ الى ص ٦٨ .

(٣) انظر كتاب : ريتشارد فاجنر للدكتور زكريا ابراهيم ، المكتبة الثقافية عدد يونيو ١٩٦٥ م ــ القاهرة .

(٤) سجل الدكتور ابو شادي ذلك في عام ١٩٢٧ م ، وهو العام الذي سجل فيه باكورة انتاجه من تلك الناحية ، وهي اوبرا « احسان » .

(٥) انظر اوبرا احسان ص ٨٦ .

(٦) انظر كتاب الدكتور محمد مندور : محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي ــ الحلقة الثانية ص ١٧ .

(٧) انظر : ريتشارد فاجنر للدكتور زكريا ابراهيم ص ٤٠ .

القاهرة — محمد سعد حسن غشوان

رستم كيلاني

من مفكرتي

بقلم رستم كيلاني

* * *

حول ادب الشباب ، والموجة الجديدة

(ما رايك في ادب الشباب ، الموجة الجديدة ، وانت من القصاصين الشباب ؟) .

سؤال يتردد كثيرا في المحافل الادبية ، وكانت اجابتي عليه :

اولا : انا لست من انصار تقسيم الادب ، فالادب ولا شك ادب واحد ، سواء كتبه الشباب ، أو كتبه الشيوخ ، وسواء كتبه الرجال او كتبته النساء ..

ويحضرني راي للاستاذ الكبير عبدالله زكريا الانصاري :

« ... اننا لا نعترف بان هناك ادبا للشباب ، وادبا للشيوخ ولا نؤمن الا بالادب الاصيل الذي نقراه فنحس به ، ونتجاوب معه ، ونراه يمس مشاكلنا اليومية ، ويحرك فينا روح العمل ، وروح الجد ، وروح الطموح نحو ادب زاهر متقدم حي » .

وتصديقا لهذا القول قول لاستاذنا الكبير توفيق الحكيم :

« التقسيم بين ادب الشباب ، وادب شيوخ ليس صحيحا على اطلاقه لانه لا شباب ولا شيخوخة في الفن والادب .. يوجد فقط فن وادب .. وهذا الفن الجيد ، والادب الممتاز يظهر عند الشاب كما يظهر عند الشيخ » .

ثانيا : بالنسبة للكتاب الجدد الذين اقتحموا ميدان الادب بانتاج غامض المسمى بالموجة الجديدة الذي نقراه ويحيرنا مدلوله ومراميه ونعاني منه اشد المعاناة ، فاني أؤيد راي استاذي ووالدي الروحي عقيد القصة العربية « محمود تيمور » عندما سألوه يوما عن رايه في التجارب الجديدة التي يكتبها القصصيون الجدد ، قال رحمه الله : « انني اتابع انتاجهم ولكن اهمس في آذانهم قائلا : ان الغلو في المبادىء شطط ، فارجو ان يتوسطوا في نزعة التجديد ، والتجريد » .

ثالثا : اما عن نفسي فاني أؤمن واتمنى ان يؤمن معي كل كاتب من الكتاب الجدد ان الاديب الفنان مرآة للحياة ، مرآة للمجتمع ، وان المجتمع الاخلاقي الذي يسير في طريق البناء ، اذا اردنا ان نعبر عنه فنيا فلا طريقة لنا سوى : الواقعية الواضحة ، الفاضلة ، البناءة ..

مجلة (الاديب)

سئلت ذات يوم عن مستوى المجلات الثقافية التي تصدر في مصر فقلت :

— اعتذر عن الادلاء باية كلمة ، ولكن اتمنى ان تصدر في مصر — مركز الاشعاع الفكري والثقافي — مجلة ثقافية شهرية في مستوى مجلة (الاديب) اللبنانية لمنشئها ورئيس تحريرها الاستاذ الشاعر الكبير البير اديب الذي فقد نور عينيه لينير شمعة الادب ، رغم الصعوبات والعراقيل التي اعترضته ، لقد وهب لمجلته ماله ، ووقته ، وطاقته الفكرية والجسدية ، انه يشرف بنفسه دون مساعدة او معاونة على مراجعة المواد الادبية التي تصله بكثرة من جميع انحاء العالم ، وعلى اخراج اعداد المجلة وكذلك كتابة عناوين مشتركيها ، لتطل على القراء بصفة دورية في مطلع كل شهر ، لقد اصبحت — مجلة الاديب خلال ٣٧ عاما — منطلقا ادبيا لسائر مستشرقي العالم اجمع ، كما اصبحت منبرا لكل قلم أدبي عربي جاد .. يعبر تعبيرا صادقا عن فكرة ناضجة ، وعقيدة ثابتة ، ورأي حر ..

مات مؤلف « مرزوق افندي »

مات (محمود صبحي) الكاتب الاذاعي المصري الكبير الانسان الذي امتاز بين زملائه ، وتلاميذه بتواضعه وادبه الجم ، وخلقه الكريم ، فلقد كان مثال الفنان الصادق الذي يخدم فنه بصدق ، واخلاص ..

سقط القلم الذي قدم اشهر واطول مسلسلة اذاعية اجتماعية « مرزوق افندي » التي كانت تقدمها الاذاعة

المصرية يوميا في برنامج (الى ربات البيوت) .

كما قدم العديد من التمثيليات الشهرية ، والخماسية في اذاعة البرنامج العام ، وهذا بخلاف ما قدمه من سيناريوهات الافلام السينمائية ، والتليفزيونية ..

كما اسهم (محمود صبحي) في كتابة القصة القصيرة ، فنشرت اقاصيصه في الصحف والمجلات المصرية خاصة (جريدة المصري ـ المساء ـ الرسالة الجديدة ـ صباح الخير ـ الهدف ـ روز اليوسف) ، وقد كان المجتمع المصري بصوره المختلفة ينبض في كل سطر من سطور تلك الاعمال الفنية سواء المسموعة ، او المقروءة ، او المرئية التي قدمها الينا هذا الكاتب القدير خلال رحلته في الحياة الادبية ..

سلام على (محمود صبحي) في دار السلام ..

ما هي الشخصية التي تاثرت بها ؟

سئلت هذا السؤال يوما ، فقلت على الفور :

ـ والدي رحمه الله .. فقد كان لتوجيهه الاثر الحميد ، فهو الذي علمني اول حرف ، وهو الذي وجهني الى السبيل القويم في اختيار الكتب النافعة واولها كتاب الله المصحف الشريف ، كما كان له الفضل في ترسيخ مجموعات من القيم التي غرسها في قلبي وعقلي التي اعتز بها حيث انها ساعدتني في بناء شخصيتي ..

فالى والدي ..

اليه في اكرم جوار .. تحية خشوع وولاء .. وسلام عليه الى ان يحين اللقاء ..

مـاذا اقـول ؟

ماذا اقول ؟ .. بعد كل ما قيل عن الكاتب .. الفنان .. الاخ .. الصديق الحبيب الشهيد يوسف السباعي الذي كرس حياته لخدمة الادب والادباء ، عاملا على رفعة شانهم ، والسير بهم قدما الى الامام دون كلل او ملل ..

اقول : كان انسانا .. ولا ازيد ..

ذكر تيمور (١٩٧٨/٨/٢٥)

بمناسبة اقتراب موعد الذكرى السنوية الخامسة على رحيل رائدنا العظيم الكاتب الكبير الاستاذ محمود تيمور سئلت هذا السؤال :

ـ نلاحظ اقترابكم من ادب « محمود تيمور » بشكل واضح ، فما مبرر ذلك ؟ .

وكانت اجابتي هكذا :

ـ في مطلع حياتي الادبية قرات معظم اعمال استاذنا الذي فقدناه « محمود تيمور » المجلدة في مكتبة خالي الشاعر المرحوم الاستاذ « قاسم مظهر » وراقني منه انه يصور الحياة باشكالها في الواح فنية صادقة مع امتلاك لناصية الصياغة القصصية ..

ولما تم التعارف بيني وبين سيادته عن طريق خالي الذي كان صديقا حميما لـه ، بدأ يقرأ لـي محاولاتي القصصية ، كما بدأ يوجهني واضعا لي منهجا دراسيا منظما للدراسة ، والاطلاع على الادب وفنونه ، وميسرا لي امهات القصص العالمي الذي كان يهديها الي من حين الى آخر ، وكان يتابع خطواتي ، ويدفعني على الدوام الى القراءة والكتابة ، الى ان جاء اليوم الذي اخذ بعض قصصي وقام ـ رحمه الله ـ بتقديمها الى المجلات والصحف لنشرها ..

وبمرور الاعوام بـدأ يقدمني لاصحاب دور النشر مزكيا ، ومؤيدا عملي القصصي لهم وللقراء ..

ومن حبـي لشخصه الوديع الانساني ، ولفنـه الصادق العميق ، كنت التهم كل ما ينشره على صفحات المجلات والكتب ، واحفظه عن ظهر قلب حتى اصبحت بمرور الايام ادمن ادب « محمود تيمور » الانساني الثابت الذي كان له تاثير كبير على توجيه اسلوبي في كتابة القصة القصيرة ..

ولقد لوحظ من كتاباتي انها تقترب من ادبه ، وهذا منتهى الشرف لي ، ولكن احب ان اعلن بانني ما زلت رغم تقدمي الملحوظ في كتابة القصة القصيرة ، تلميذا صغيرا .. صغيرا .. صغيرا لادب استاذي ووالدي الروحي فقيد القصة العربية « محمود تيمور » الواقعي الانساني ..

لذكراه العطرة تحية وسلام ..

حول صياغة جديدة لفن القصة

حول الرأي الخاص لاستاذنا « محمود تيمور » عن اعادة صياغة بعض القصص التي سبق ان الفها ..

يسعدني ان اوضح بالضبط وجهة نظر فقيدنا الكبير في هذه القضية ..

لقد كان رحمه الله يجلس الى محتوى ما كتبه في العهد الباكر من حياته يعيد النظر فيها من جديد فما رضي عن صياغته ابقاه ، وما لم يرضه يلمسه لمسات صقل ، وتنقيح حتى يضحى في ذلك الثوب القشيب الذي عرف به مع الاحتفاظ الكامل بجوهر الموضوعات ، وكيـان الشخصيات ، وما في ذلك من معاني تلك الاعمال القصصية وعناصرها الاصيلة فقد يبقى على حاله موفور المعالم والسمات ..

وكان يرى رحمه الله ان من حق الكاتب عندما يطلب منه اعادة طبع اعماله ان يعيد النظر فيها من ناحية الصياغة ، والتعبير لتخرج الطبعة الجديدة منقحة في تشذيب ، وتهذيب ويكفي انها سجلت باسمه في الصحف ، وفي الطبعة الاولى ، ولم تعد هذه الصحف او الكتب ملكا لكاتبها ، وانما اصبحت ملكا للتاريخ ، وما في مستطاع اي كاتب ان يمحوها حتى باعادة طبعها منقحة .

هذه هي وجهة نظر رائدنا « محمود تيمور » والتي

الورد والسمراء

للحلوة السمراء يهفو ويعبق ... شذى الورد في خضر المغاني ويورق
يداعب اضواء الصباح وينثني ... حفيا بأطياف المساء يصفق
لعلك منه تأنسين نوافحا ... تشيع بصدر الليل ما هو اعبق
يطيب شميم منه مما جئت ربعنا ... ويزهو مدى في كل افق ويشرق
ويأتيك ريحانا وفلا عساهما ... يوافين بالعطر الذي لك يخلق
وعينيك من انت اذا بحت بالذي ... تخبؤه عيناك ؟ قلبي يشهق
رؤى اي فجر انت في الغيب كنته ... بأسراره للكون بالطيب تنطق
حديثك انفاس الندى وسقيطه ... اذا ما نطقت ... أو ... معتق
لك الحب ، ما للحب ؟ انت لأفقه ... مغارب انوار الضحى ومشارق
لقد كنت في الاحلام من قبل ان نرى ... جمالك بل قد كان بالسمع يعشق
نقبله في الظن شوقا ولهفة ... اليه نحن في الخيال ونخفق
فلما اتيت ربعنا .. كل نجمة ... لها قصة تحكي ، وسحر منمق
وبثت مغانينا ، فسبح جدول ... وردد غريد .. وهينم عاشق
لأت من الحسن الموزع فرده ... اذا لاح .. اوسر من الغيب يفلق

سطوة — دبي

احمد امين المدني

سبق ان شرحها في احاديثه الصحفية ، والاذاعية المسموعة ، والمرئية . اردت ان اوضحها للقراء عامة ، وللاساتذة الكتاب خاصة لعلي بهذا اكون قد اوفيت وهذا حسبي ..

وبعد ..

لا يفوتني قبل ان اختتم مفكرتي ان اقول لقد فجعت بعد ما قرات ما كتبه الاستاذ عباس خضر في كتابه (خطى مشيناها) يقول شائعة خطيرة بان « محمود تيمور » لم يكن هو كاتب هذه القصص .. وانما الذي كتبها احد اصدقائه وهو الاستاذ محمد شوقي امين عضو مجمع اللغة العربية ..

ولقد سبق ان تعرض الاستاذ « محمود تيمور » لحملة سرية مثل هذه الحملة منذ سنوات كان يتزعمها الاستاذ حبيب زحلاوي في كتابه (شيوخ الادب الحديث) وقد غمز فيه تيمور بما ادعاه من ان اسلوب محمد شوقي امين واضح في كتابات محمود تيمور ..

ويسعدني ان اشير الى ان مجلة (الجديد) قد اجرت حديثا مع الاستاذ محمد شوقي امين بتاريخ اول يناير ١٩٧٥ قال فيه كالحرف الواحد ، لقد نشأت اقرأ لمحمود تيمور واتتبعه في (الهلال) وغيرها قبل ان ابلغ العشرين .. وما زلت اذكر انني ذهبت وانا في مقتبل عمري وكنت البس « القبقاب » واشتريت اول مؤلفات « محمود تيمور » وهي مجموعة قصص « الشيخ جمعة » التي ظهرت منذ اكثر من خمسين عاما .. وان تيمور يكبرني في السن بـ ١٦ عاما .. واني لأخجل من الذين يثيرون مثل هذه الشبهات حول قلم « محمود تيمور » .. فان له من الكتب قبل ان اعرفه او اراه ما يقيم من شخصه عملاقا للادب القصصي .. » .

وفي الختام احب ان اذكر الاستاذ عباس خضر ، الذي يثير هذه القضية الآن في كتابه (خطى مشيناها) بما كتبه هو بنفسه في كتابه « القصة القصيرة في مصر » صفحة ٢٠٢ عن محمود تيمور — وهو على قيد الحياة — قائلا :

— « ولعل محاولتي هنا سدت شيئا من هذا النقص في الكتابة عن الكاتب الذي اخلص لفنه طول حياته .. واثرى ادبنا القصصي بما لم يفعله كاتب آخر .. » .

القاهرة

رستم كيلاني

حبيب مسعود

١٨٩٩ — ١٩٧٧

الاديب الذي قتل في محراب الفن

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

مأساة الحوادث في لبنان ان فقدت الاوساط الادبية ، والعلمية ، والفلسفية ، والصحافية مجموعة من الادباء ، والكتاب والباحثين والصحافيين . امثال الدكتور المستشرق الفرنسي الاب ميشال آلار مدير معهد الآداب الشرقية في بيروت ، والاستاذ الدكتور كمال يوسف الحاج رئيس قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية والاستاذ حبيب مسعود .

ولست الآن في معرض الاسباب والنتائج التي ادت الى فقدان هؤلاء الذين هم قلة بالنسبة الى آلاف الذين فقدوا واصابهم الموت والتشرد والحرمان .

فهذا قد سجله التاريخ ، وبينته الاحداث ، وسطرته الاقلام ، وتألمت من اجله القلوب ، ودمعت لرؤيته العيون !!

والذي يهمني الآن هو الحديث عن صديق قديم التقيت به في بيروت عام ١٩٤٨/١٩٤٩ بمؤتمر (اليونسكو) الثقافي العالمي . وكان هو ذلك الاديب الفاضل ، والاستاذ الكريم رئيس تحرير مجلة (العصبة) الاندلسية ، في سان باولو البرازيل ، المرحوم الشيخ حبيب مسعود (١٨٩٩ — ١٩٧٧) . التقيت به ممثلا لادباء (المهجر الجنوبي) ، وهم النخبة الطيبة ، من اصحاب (العصبة) التي تأسست سنة ١٩٣٢ . مقابلا (للرابطة القلمية) في (المهجر الشمالي) التي اسسها (جبران خليل جبران) ورفاقه سنة ١٩٢٠ . وقد ترك اصحاب (الرابطة) و (العصبة) آثارا لا تنسى في ذاكرة الزمن ، وفي سجل الهجرة الخالدة . تحدث عنها كل من كتب من ادب المهجر وبالاخص الاخوة الاساتذة الكرام : جورج صيدح ، عيسى الناعوري ، وعبد الكريم الاشتر ، احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمد الكتاني ، حارث طه الراوي ، ونادرة السراج . وغيرهم ..

بعد تعارفي معه كتبت عنه مقالة من سلسلة مقالاتي بعنوان (في مجالس الادباء اللبنانيين) وقد نشرتها تباعا في مجلة (العقيدة) العراقية سنة ١٩٤٩ .

واليوم اذ تعود بي الذكريات الى صورته القديمة فأراه امام ناظري ، رزين القول ، بهي الطلعة ، مبتسم الاسارير ، يتكلم بهدوء الواثق ، وباطمئنان العارف ، وبكلمة الحكيم

وتمر الايام ويعود بعدها الى دار هجرته . ويصدر كتابه (ما اجملك يا لبنان !) ، ويعيد طبع كتابه (جبران حيا وميتا) . وتكون طبعته بين يدي ، فاذا هو اكبر مجموعة نفيسة تضم آثار جبران ، وما قيل عنه ، قد زينته الصور والرسوم الرائعة .

كان الاستاذ الشيخ (حبيب مسعود) يمتاز بجمال الخط ، وحسن الكتابة ، وصفاء الفكرة ، وقلة السرد الممل ، واصابة الهدف ، بأقصر الطرق .

وصفه الاستاذ الكبير الشاعر الاخ (جورج صيدح) فقال عنه :

« ناثر من الطراز العالي الرصين ، فنه في صوغ العبارات فن الجوهري الحاذق في تنضيد اللآلي » .

وقال عنه الاستاذ الباحث الدكتور (عيسى الناعوري) :

« كان عربيا في عاطفته وايمانه ، عربيا في قلمه وبيانه ، يعمل للعروبة بلسانه وقلمه ، ويخدم الفصحى ما وسعه الجهد والطاقة » .

ويمكننا تلخيص حياة (حبيب مسعود) بالملامح الآتية :

١ — ولد في (بشري) بلبنان سنة ١٨٩٩ م . تعلم في قريته ومدرسة الحكمة ببيروت .

٢ — هاجر الى البرازيل سنة ١٩١٣ م .

٣ — حرر في جريدة (الجديد) ورأس تحرير (النهضة اللبنانية) سنة ١٩١٨ م .

٤ — اصدر مجلة (العصبة) الاندلسية ١٩٣٣ — الى توقفها .

٥ — زار لبنان ١٩٤٨/١٩٤٩ ثم عاد الى المهجر .

٦ — عاد الى لبنان سنة ١٩٦٤ واصبح المشرف والمسؤول عن (متحف جبران) وآثاره .

٧ — قتل رحمه الله سنة ١٩٧٧ .

٨ — له مجموعة كبيرة من المقالات ، والابحاث ، والمحاضرات .

ومن آثاره المطبوعة :

١ — ما اجملك يا لبنان !

٢ — جبران حيا وميتا .

كل من اتصل به ، او اشتغل معه ، او عايشه ، او كتب عنه اثنى على ادبه ، وسمو اخلاقه ، وبراعة خطه ، وحماسه لوطنه ، ولعروبته ، ولغة اجداده . لم يكن من الادباء الذين يعرضون انفسهم واقلامهم للبهرجة ، والدعاية ، والاعلام ، ولا من الكتاب الذين تنفخ في اعطافهم الفاظ المديح والاطراء . ولكنه من اصحاب الحكمة المتواضعة ، والنفس الكريمة ، والسمعة البيضاء .

استطعت ان اجول في رياض ادبه وهو رائع رصين . واقتطفت بعض زهرات من كتاباته .

ومما قاله في استطراد حديثه عن تكوين (العصبة) ومجلتها :

« .. فليس الفضل في ان تصون لغتك وانت قابع في دارك بين عشيرتك ، فالفضل في ان تصونها وتحضنها وتشقى من اجلها في بلاد غريبة عنك لسانا وعادة وعرقا » .

ثم قال عن ادباء جيله ، وما ينتظر ادب المهجر من ضياع ، وغربة ونسيان :

« ومتى اندرس هذا الجيل تندرس معه الجالية المغتربة كهيئة اجتماعية ويصبح تفكيرها محصورا في سلعة ، ويغدو شعورها منوطا بآلة . فتدرك عندئذ مقدار النكبة يوم لا تسمع رنة لقافية عربية ، وتطلب الادب العربي فلا تجد له معلما » .

يا لها من حكمة ! ، ويا لفظاعتها ! . لقد وجدت ولمست ، ورأيت يا اخي — حبيب — آثارها وانت عائد الى وطنك لبنان ، ومغادر للبرازيل . وقدمت روحك ضحية تنزف دماءها على تربة الوطن الذي وصفته بالجمال ! والقبح !

ترى هل يسمع المنصفون ، ويتحسس الوطنيون ، ويتكلم المحبون لأدب المهجر ، فيحركوا اقلامهم ، ويوقظوا ضمائرهم ، وينشروا كتاباتهم في الحفاظ على قومية ادب المهجر العربي ، وصيانة آثاره ، وجمع تراث ادبائه وشعرائه وخطبائه ، والاهتمام بعودة صحافته العربية ، وتعليم ابناء واحفاد واسر الاوائل منه ، لغتهم ، ومكارمهم ، وتقاليدهم الشعبية ، وصلتهم باوطانهم الام ؟ وان يجمع كل ما كتبوه ، ونشروه ، والفوه من نثر ، وشعر ، وصحافة ، في العربية واللغات الاخرى التي عاشوا مع سكانها ، وتحدثوا بلغاتهم . كالاسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وان لا يقتصر الامر على القارة الاميركية بشمالها ووسطها وجنوبها ، بل يجب الالتفات الى ما تركه المهاجرون في (افريقيا) الشاسعة السوداء .

قال الشيخ حبيب مسعود ، يصف الاديب المغترب :-

« الاديب المغترب هو الاديب الضائع الذي افنى عمره من اجل قومه ، ولغته ، فما اصاب سوى افتتات المقيمين ، واهمال المغتربين . انشأ الصحف واصدر الكتب واعتلى المنابر ، وعمر المحافل ، فعاش مهملا ومات معدما » .

ثم ذكر قوله :- « حمل لواء العروبة في ديار غربته ، وناضل في سبيل عصبته فما ظفر بغير البلغة . واكب قوافل عشيرته النازحة فكان حاديها ورسولها ولسانها وبشيرها ومؤاسيها ، مستشهدا كل يوم في سبيل لغة لا تكفل له حتى الكفن » .

ومن قوله عن لبنان وزيارته له بعد غياب طويل :

« لبنانيا رحلت ولبنانيا عدت ، وعربي اللسان ذهبت ، وعربي اللسان رجعت ، مؤمنا بروحانيته لشرقية هاجرت . ومؤمنا بها قفلت » .

« حملت لبنان في قلبي والعربية على لساني وقلمي ناديت ما استطعت رسالتي للبنان والفصحى » .

ومن كتابته عن (جبران خليل جبران) قوله :

« كان جبران مع الرعيل الذي ايقظ الفكر وقوم الحرف وحرر الكلمة واستنهض الهجع في الشرق العربي لكنه كان والريحاني أمين ، بين جميع الغضاب لكرامة امتهم ، املاهم صوتا ، واجرأهم قولة ، واصرحهم خطابا ، واشدهم اخلاصا . في عهد كانت العروبة اشبه بالسديم الهائم الذي لم يتخذ بعد شكلا » .

ومن رسالة العبقري قوله :

« في راينا ان لكل عبقري رسالة يؤديها بالنحو الذي تختاره القوة الكامنة في كيانه . والرسالة الاصيلة هي التي كلما قدمت ازدادت رسوخا وانتشارا وكسبت اشياعا وانصارا » .

« ... ورسالة (جبران) على حداثة عهدها قد اصابت من الاقبال والانتشار في مختلف الاقطار ما يثبت ان مصدرها احد تلك الينابيع الروحية التي تنبثق بين حقبة ، وحقبة من الزمن » .

ان للاستاذ الفقيد الشيخ (حبيب مسعود) مكانة في نفوس محبيه ، ومقدري ادبه ، وعارفي فضله في صيانة اللغة العربية ، في هجرتها الى ديار الغرب وسيأتي الزمن القريب الذي سيكتب فيه المؤرخون للادب المهجري ، ما خطه اولئك الرواد الكبار ، من آثار قلمية هي من مفاخرهم ، وسر خلودهم ، ودوام محبتهم في القلوب ، وفي خواطر النفوس .

وتحية لروحه الكريمة ، واحتراما لاخوانه الذين فقدوه ، في الوطن والمهجر .

اهم المصادر والمراجع :

١) ادبنا وادباؤنا — في المهاجر الاميركية — للاستاذ جورج صيدح ط/٣ — بيروت ١٩٦٤ .

٢) ادب المهجر — للاستاذ عيسى الناعوري ط/١ — القاهرة ١٩٥٩ .

٣) فنون النثر المهجري — للاستاذ عبد الكريم الاشتر ط/٣ — بيروت ١٩٦٥ .

٤) الشعر العربي في المهجر — للاستاذ محمد عبد الغني حسن ط/١ — القاهرة ١٩٥٨ .

٥) النثر المهجري — للاستاذ عبد الكريم الاشتر ط/١ — ١٩٦١ .

٦) جبران حيا وميتا — للاستاذ حبيب مسعود ط/٢ — بيروت ١٩٦٦ .

٧) مجلة العقيدة — العراق ١٩٤٩ .

٨) مذكراتي الشخصية .

محسن جمال الدين
جامعة بغداد — كلية الآداب

دمعة على « الاديب »

بقلم الدكتور خوان فرنيه

Prof. Dr. Juan Vernet

ترجمها عن الاسبانية

انطوان خاطر

* * *

ذلك منــذ سنوات عديدة ، في اوائــل الاربعينات ، عندما بدأت دراسة العربية في معهد مغربي ، معهد « القصر الكبير » الذي كان يضم في قاعاته طلابا مسلمين ويهودا ومسيحيين . بدأت عندئذ اتصالي بالادب العربي المعاصر ورحت اتكلم العربية الفصحى مما كان بامكاني ان اتفاهم والاميين بل كان تفاهمي يقتصر على المثقفين في المدينة الذين كانوا يرون في مرض اللغة المستعملة عندئذ (واليوم ايضا) بنسبة كبيرة في الاذاعة وتستخدم في جميع الصحف التي تنشر من حدود الخليج الى الاطلسي ، كانوا يرون في ذلك وسيلة لتجديد الوحدة الثقافيه في عالم مزدهر سابقا استمر على رأس الحضارة طيلة خمسة اجيال

وطبيعي ان يكون اصدقائي قوميين متحمسين ، وفي الوقت الذي كنت اتمرس على الكلام بلغة كنت احسن الكتابة فيها الى حد مــا ــ نتيجة دراساتي في جامعة برسلونه ــ ما كانوا ، هم ، يكتفون بتبشيري بوجهات نظرهم السياسية ــ الاستقلال ــ بتهذيب شرقي رفيع ، لا ادري اذا كان يحافظ عليه بعد ، لكنه كان عندئذ قاعدة . وهكذا كان يمكنني ان اشتري بسهولة الجرائد السرية التي كانت تهرب من طنجه ، كما كان يمكنني ان افهم تلميحات خاطفة ما كان ليدركها القراء الآخرون . واذ كنت افكر بأنه سيتوجب علي يوما ان اقف امام لجنة فاحصة في مباراة ما بلغ بي الامر ان رحت احل كلمات متقاطعة .

على ان اكثر ما اشكر هؤلاء الاصدقاء عليه انهم عرفوني اولا بمجلات ادبية محلية ثم بمجلات من العالم العربي في المشرق . ولا اذكر الآن من مجموعه تلك المجلات الا اسم « الاديب » .

غير انني ، على هامش توجيهاتهم ، اكتشفت من جهتي مجلة ادبية اخرى كانت تصدرها هيئة الاذاعة البريطانية في لندن باسم « المستمع العربي » وذلك في خدمة الدعاوة الحربية البريطانية . كانت المجلة تصدر مصورة في حلة رائعة تحررها اقلام عربية من الدرجة الاولى .

وكثيرا مــا كانت تظهر بمظهر تعليمي ادبي جدير بالقبول . وقد اضع دراسة يوما ما لابين تطور الدعاوة التي كانت تحملها صفحاتها بشكل مبطن بارع .

وعلى العكس من ذلك كانت « الاديب » تصل الي بصورة منتظمة تحمل تواقيع مختلفة عن تلك . ومع مضي السنين ، عندما رجعت الــى برسلونه ، راحت تتوثق علاقتي مع ناشرها البير اديب ، الذي راح يرسلها لــي بصورة منتظمة وان يضمن صفحاتها اخبارا عن اسبانيا وبنوع خاص عــن الكتاب العرب المغتربين في اميركــا الجنوبية . وهكذا كانت « الاديب » تصل الي بشكل منتظم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة ، وكانت توقفني على حركة الادب العربي ليس فقط في الشرق الادنى بل على تطور هذا الادب ايضا في اميركا اللاتينية بحيث انني ، استنادا الى معلوماتها والى مواد تلقيتها من المغتربين انفسهم ، تمكنت من ان اكتب منذ فترة قريبة ، مقالا صغيرا بعنوان « ادب جديد اسباني عربي » (١٩٧٤) تحدثت فيه عن هؤلاء الكتاب في بوينس ايريس ، وخوخوي ، وسنتياغو دي تشيلي ، وسان باولو الخ . حيث ما زالوا يحافظون على لغتهم حية .

لكن يبدو ان « الاديب » التي كانت تصدر في بيروت قد قضي عليها نتيجة الفتنة التي تعصف بلبنان منذ سنتين . واظن ان العدد الاخير الذي استلمته ــ لا اريد ان انظر اليه ــ يعود الى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ . وبعد ذلك كان الصمت . وما كان تلقي اولا على المجلة بل على ناشرها الا نسبيا . اما بعد اطلاعي على فظائع الحرب ومقالات الكوفيرو في جريدة « لافانوارديا » ومحاولاتي الفاشلة في الاطلاع على مقره (ناشر الاديب) فقد جعلني كل ذلك افكر بحدوث الاسوأ .

آمل ان اكون مخطئا وان اعود فاستلم ، في اي يوم ياتي ، عددا جديدا من « الاديب » ، او ديوانا ما من ناشرها او من ابنته هدى . اما الوالد فاعرفه بالمراسلة وبمقالاته وبديوانه المشهور « لمن ؟ » (١٩٥٢) ، المكتوب بالشعر الطلق والذي يضم القصيدة المشهورة « وفاء » :

لم احبك يوما
بل احببت فيك نفسي
وانعكاسات رؤاي الحالمة

(*) عن المجلة الاسبانية **Camp de l'Arpa** عدد يناير ١٩٧٧

اغلى من العمر

من كل حلو شهي — الحب اشهى واحلى
يبلى الزمان ، وحبي — باق لها ليس يبلى
غني هجيرة عيشي — منه تفيأت ظلا
بحبها العمر غال — لكنما هي أغلى

بغداد ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

واعرف انني في خاطرك
لم اكن غير انتعام
لحب اضعته

عشنا معا
فتآلفت منا اسطورة كاذبة
غصت بها روحانا ألما
وعرفتنا الدنيا انشودة خالدة
غنيا لهوان الهوى

لست لي ولم اكن لك

سأذهب وتذهبين
غريبين عاشا معا
وابقيا من بعدهما
... اكذوبة ...

ان هوايته للادب العربي في اميركا الجنوبية — وللادب الاسباني ايضا لانه غالبا ما كان ينشر في مجلته ترجمات لخيرة شعرائنا او للشعراء العرب الذين يتناولون موضوعا اسبانيا — قد تكون نتيجة ظروف مولده ، هذه الظروف التي أجهلها والتي جعلته يبصر النور في مدينة ميثيرال دل اورو (المكسيك) سنة ١٩٠٨

واذا كان البير اديب قد كتب لي دائما بالعربية او ترانه بالعربية ، فليس هذا ما يحصل مع ابنته هدى ، الشاعرة بلغتين : العربية والفرنسية ، ذلك ان لبنان كان يظهر ، حتى الامس ، بوتقة الشرق حيث يمكن ان تتمايش الاجناس واللغات والاديان وما كان بغريب استعمال وسيلة للتعبير او اخرى . وفي لبنان كان يجد ملاذا اللاجئون ، الى اية ايديولوجية انتموا ، او المغنون الفكاهيون الذين كانوا يتجراون على نقد القائمين على شؤون الحكم في بلادهم . عندما كان « الكوفيرو » يصف منذ بضع سنوات في « لافانفواريا » السياسة الادبية التي حملت العديد من شعراء الزجل عبر الهجرة كان يشيد يكون الزجل الذي نشأ في الانطلاق منذ الف عام عرف ان يتكيف ومختلف الظروف ليطلق قصائده المرتجلة والمتفاوتة رقيا وغنيا بحسب عبقرية كل شاعر ليتحول ، من قصد ، الى عمل فني دقيق او الى هجاء سياسي .

هذا هو لبنان الذي تراه يتوارى هدى اديب .

انني اجهل ما يخبئه الحظ لبلدها . على انني اخشى ان لا يعود يرى في المستقبل ... وحياديا وان لا تمار اهمية للغة كل مواطن فيه او لدينه . واخشى ان ترى صاحبة الديوان « الشارع ، المدينة ، الرقم » (١٩٧٢) — بالعربية — و Parenthèse (١٩٦٨) و Demi pause (١٩٧٠) ، اخشى ان ترى نفسها ، بوعي او بلا وعي ، تفضل احدى لغتيها على الاخرى ، لانه كائنا من كان المنتصر ، فان لبنان موحدا كان او ... الى البلدان المجاورة ، لن يبقى منه الا ما يعجز الانسان من هدمه : هذا الاطار الجغرافي الذي يعكسه كاجمل ما يكون واحد من شعراء العامية في لبنان في قصيدته « جبلي الاخضر » .

وواضح ان لبنان الجغرافي هذا سيستمر موجودا مهما كانت التقلبات السياسية . لكن ما سيكون من امر سويسرا الشرق ؟ ما سيكون مصير حريته ؟ ما سيكون ؟ ؟

عيسى فتوح

علاقة الوصف الادبي بالتحليل

بقلم عيسى فتوح

* * *

يتناول الوصف الادبي تحليل المشاعر والاحاسيس والاهواء والنزعات ، وجميع هذه العناصر ضرورية للكاتب ... الا ان ذلك لا يخلو من الصعوبة ، يقول الباحث الفرنسي لانسون (١٨٥٧ — ١٩٣٤) : « يمكننا ان نتخيل الاشياء المادية ، اما الصعوبة الحقيقية فتتمثل في وصف الحالة النفسية ، سواء شعرنا بها ام لم نشعر » . ومتى قال احدنا : انا فرح ، او غضبان ، او اكره ، او احب ، فهم من ذلك انه ليس عنده شيء يعبر به .

قد يدرك الانسان كل ما يتصل به من احاسيس ، لكنه لا يحسن التعبير عنها ، فلماذا هو حزين او غضبان ؟ وكيف غضب ولماذا ؟ هذه اشياء يجب ان يأخذها الاديب بعين الاعتبار .

على انه يجب ان نفرق بين الاحساس الانفعالي والاحساس التصوري ، فالاحساس الانفعالي يدركه الانسان العادي ، كما يدركه كل اديب ، ولكن لا يحسن التعبير عن هذه الانفعالات الا الاديب العبقري . فحينما اراد شاتوبريان ان يصور « مرض العصر » في ايامه — وهو عبارة عن الحزن بلا سبب او غاية — جاء بقصته « رينه » . لم يقل ان بطله يبكي ، او انه حزين ، بل اخذ يذكر الالفاظ التي كان مجرد ايرادها كافيا لاشعار القارىء بانه امام مشهد حزين .

يقول شاتوبريان : « فاجاني الخريف في غمرة قلقي واضطرابي ، فاستقبلت شهر العواصف بغبطة وسرور ، وتمنيت لو اكون احد اولئك المحاربين الذين يعمهون وسط الرياح والسحب والاشباح ، وكنت اغبط الراعي على حظه ، فاسمع اغانيه الحزينة التي تذكرني بأن لحن الانسان الطبيعي حزين اسيان في كل مكان ، حتى وهو يعبر عن السعادة والهناء . رحت اتيــه في الفيافي الواسعــة ، والغابات ، فكان اتفه شيء يردني الى احلامي : الورقه الهشيم تذروها الرياح امامي ، او الكوخ يتعالى دخانه فوق رؤوس الاشجار العارية ، او الطحلب تهف به ريح الشمال ، فيرتعش على جذع سنديانة ، او سائق العربة يمضي فريدا وحيدا في اقصى الوادي ، او الطيور العابرة تحلق فوق رأسي ، فاتمثل المواطن البعيدة التي تسعى اليها ، واود لــو اكون على اجنحتها . الا فهبي ايتها العواصف المنشودة ، لتحملي « رينه » الــى فضاءات حياة اخرى » .

لقد كان هدف شاتوبريان من هذا الوصف ان يصور الحزن — وهو مرض العصر كما هو مرض بطله رينه — لذلك لم يلجأ الى السرد العام ، بل الى سرد ما يختاره من الالفاظ المعبرة لينبئ بها عن الحالة الوجدانية ، فكل كلمة تقع من اقل البيان موقعها من قلب المصور الموصوف .

ان وصفنا للحالات النفسية يتعلق امــا بشخص حقيقي ، او بشخص وهمي ، فاذا كان الشخص حقيقيا ، وجب ان نختار الخطوط الرئيسية او القسمات التي تميزه عن غيره حتى ولو كان اقرب الناس اليه كأخيه او امه ، اذ لكل انسان مزايا ينفرد فيها عن سواه ، حتى ان الخط الواحد ، او الظل الذي يوشح وجه الصورة يكون سببا في نجاح الصورة او فشلها . يجب ان يكون عملنا اذا كعمل الرسام الفنان ، وليس كعمل الفوتوغرافي المحترف الذي يتناول كل ما امامه بواسطة الآلة .

وعمل الاديب الفنان عمــل ذاتي ، فهــو يختار القسمات ، وينتقي السمات ، ويهمل كثيرا من التوافه والسطحيات ، ولا ينقل الحقيقة كلها ، بل يتجاوب مع الواقع الوجداني العميق .

يجب ان نصور الشخص الحقيقي من خلال حركاته وسكناته ، ونحاول ان نجمع كل ما نعرفه عنه ، ونختار من كل جزئية الشيء الاليق كي يوصلنا الى حقيقته ، فلا ضير اذا في الحديث عن ثيابه ولونه وقسماته ، وحالته النفسية ، وخوالجه ، لكننا لا نتحدث عن هذه الاشياء كلها في آن واحد ، معتقدين ان في امكاننا التعويض بها عن

الحقيقة . لان ذلك متعذر في الادب والفن .

ليس لنا أمام التفصيلات الكثيرة ، الا ان نحسن الاختيار ، هذا اذا كان المصور حقيقيا منتزعا من ماض خلا او حاضر موجود ، اما اذا كان الشيء المصور وهميا ، فيجب علينا ان نضع انفسنا في موضعه ، فنتساءل ما عسى ان تكون تصرفاته في هذا المقام ، والى اي شيء ينزع بفطرته ، فاذا استطعنا ان نتلمس الطريق لتلك الخصال الاساسية ، نكون قد دنونا من ايجاد مخلوق فني ، وهذا المخلوق الوهمي يسمو احيانا عن الشخص الحقيقي الذي نجده في الحياة . كما اننا بعملنا هذا نكون قد احيينا ذلك الوهمي في اعماق نفوسنا ، والبسناه الصيغة التي يمكن ان يلبسها لو كان موجودا . اننا غالبا نخترع بعض الابطال ، ونخلق لهم صفاتهم ، لكننا نضفي عليهم الكثير من مشاعرنا واحساساتنا .

صحيح ان الخيال الخلاق يستطيع ان يصف الانسان الموهوم ، لكنه يجب الا يبنيه على الوهم وحده ، لان الوهم في الادب انما يبنى على الموجود ، مما قرأه الكاتب او جربه او رآه ، فاختزن الصورة في اعماق نفسه ، وراح يغذيها وينميها عند الحاجة .

وكثيرا ما يتعرض الوصف الادبي الى المزالق عندما يغالي الاديب في تصوير الاشخاص — وهميين كانوا او حقيقيين — من خلال ذاته (الأنا) فيصبح بذلك نارسيسيا ، والنارسيسيون هم اتباع مذهب النارسيسية الذين يوصفون بالانانية ، ويعبر عنهم بسجناء الأنا او الذات .

لقد اكثر الشاعر الرمزي بول فاليري من وصف هذا المذهب في قصائده ، والحقيقة أن الأنا والانانية مفهومان، فهما ادبيا كفنيا هو ابعد ما يكون من المقياس الاخلاقي ، فلفظة اناني تعني فكرة اتخاذ النفس مرآة لتصوير الشاعر نفسه ، ولكل ما يريد تصويره ، كالعالم والناس من خلال نفسه ، فالأنا عنده نسخة من كل أنا ، وكيانه نسخة من كل كيان .

ولهؤلاء طقوس وشعائر وعبادات الفن ، ولكن هذا لا يلبث ان يصبح حياة للأنا ، حتى ليوشك احد اتباعهم ان يعبر تعبيرا صوفيا عن كل شيء ، فالسماء ما هي الا نفسه حين تهدأ ، وما الوردة الا نفسه حين تصفو ، وما الشبح الا نفسه حينما يمر بلحظات الاعياء الفني . يقول الشاعر بول فاليري :

أنا أنا نارسيس المحبوب فلست أبالي

الا بذاتي وكياني

وليس لشيء سواي عندي الا قلب غامض

وكل شيء سواي ليس الا عدما

أحب ، وليت شعري

من يستطيع أن يحب غير نفسه ؟ !

فهو معشوق وليس بعاشق ، وهو يذكر نارسيس المعشوق ، ويغفل ذكر محبوبته « ايكو » لكي يبالغ في تقديس الأنا ، وكل ما عداه فهو العدم . وعلى العالم الخارجي ان يراه هو على شكله الحقيقي ، او بتعبير ادق على جماله الحقيقي ، وليس عليه هو ، ازاء ذلك كله ، الا ان يكون اشبه بالمرآة الصافية التي بثتها الطبيعة في كل مكان ، في المياه الراكدة التي لا تجري .

هذا الغلو في تجسيم الأنا له تفسيره الخاص عند المحللين النفسيين الذين يعدون ذلك مرضا ، او هو من قبيل العواطف المريضة ، وكل عاطفة مريضة لا يمكن ان تكون عنصرا ادبيا ، ولا شك في ان النارسيسست نوع من العواطف المريضة ، او هي مرض التوراستنيا الذي منه جنون العظمة .

ومن طريف ما يذكر عن نارسيسية بول فاليري انه في قصيدته عن « بارك الصغيرة » جعلها مؤنثا ، وجعلها تقول بوجد وصبابة : « رأيتني ارى نفسي » ، وراح يضع في فمها هذه الكلمات : « هذا الجانب السري في قلبي الهيمان (ما اقدرة على الاتساع في ليلتي الموحية ، وعلى تعميقه غنى في التجارب الحالكة !) » .

ويخف هذا الغلو في تقديس الأنا عند مونتين ، ولكن هذا التقديس يظل لونا من تحليل النفس والذات ، اي تحليل الكاتب لنفسه بنفسه ، فحينما قدم مونتين كتابه « الايمان الصحيح » عرضه بهذه الكلمات :

« انما صدرت فيه نفسي ، فانا بذاتي مادة كتابي » .
ويأسف مونتين لان المجتمع منعه من ان يصور نفسه عارية كما اراد ، ثم يعتذر بان الحقيقة لا تقال ، وما كل ما يعلم يقال ، ولو عرض الحقيقة كلها على الناس لأجفلوا منه .

ويرى مونتين ايضا ان حياته وفنه شيء واحد ، فقد قال لهنري الثالث : « كتابي هو نفسي ، ولا يشمل الا حديثا عن حياتي واعمالي » وهذا صحيح لان احدنا لا يرى العالم الا من خلال نفسه ، ولا شك ان اروع كتاب ينتجه الاديب ، هو الذي يكتب فيه سيرة حياته بنفسه ، ومن هنا اعتبر كتاب « الاعترافات » لجان جاك روسو ، من اروع ما كتب في الادب الفرنسي .

دمشق — عيسى فتوح

الدكتور سليمان النجار

الشاعر الهارب من تسليط الانوار

بقلم عجاج نويهض

* * *

امامي ثلاثة من دواوينه ، « مشينانا » سنة ١٩٦٦ ، و « هديل » سنة ١٩٦٧ ، و « يا جناني » (بفتح الجيم) سنة ١٩٦٩ وصدر له بعد ذلك ديوان احسبه متفرقات على ما اعتقد اطلق عليه اسم « شتى » لم أره كما اني لم أر ما صدر له بعد ذلك وهي فترة تقارب عشر سنوات ، والمرجح انه بقي على غزارته الكوثرية الترياقية القليلة النظير .

اما الدواوين الثلاثة التي ذكرتها هنا فهي على حجم واحد وسط ، والطباعة انيقة والورق صقيل ممتاز ، ولبعض الحروف حركات ، والبيت من الشعر يشغل سطرين ، والصفحة الواحدة لا تحتوي على اكثر من ٤ او ٥ ابيات . وفي « هديل » مذكور تاريخ نظم معظم قصائده ، وجمال هذا الشعر يستحق هذه العناية بالاخراج .

وقبل ان نتكلم شيئا نصف به الشاعر وشعره ، نرى ان نقدم الى القارىء الكريم معظم المقدمة الصغيرة التي وضعها الشاعر نفسه في الديوان الاول من دواوينه « مشينانا » ، فقال :

« خواطر سنحت ، وتجارب عانيتهـا ، واحداث عشتها وعايشتها ، هـا هي كما تمثلت في مشاعري ، البستها من الاثواب ما ارتضاه طبعي ، واعرتها من الالحان ما هذب على تذوقه سمعي . نظمتها لنفسي ، ارضاء للملكة ، واشباعا لهواية ، وتنفيسا لعاطفة جائشة ، في فترات من الزمن ، متقاربة تارة ، متباعدة اخرى ، خلال عقود خمسة ، هي عهود النضج والانطلاق .

« لم تكن تدور في خلدي قط فكرة نشر هذه القصائد في مجلة او في كتاب والا فما كنت لاتأخر عن ذلك الى اليوم ، وقد مضى على الكثير منها عقود وعهود . ان اقصى ما كنت افرض انها تعرض له هو تلاوتها على نفر من الاصدقاء متذوقي الشعر ، في سهرة عائلية او في جلسة سمر . وما اقدمت على نشرها الآن الا عملا بمنطق هذا الزمان ، واقتناعاً بما اشار به بعض الاخوان ، فرأيت ، بعد لاي ، ان لا ضير من ذلك . فللذكرى على الاقل ان يكن لاعتبارات اخرى . قد تختلف الاذواق ، وتتعدد الاهواء ، وتتضارب الاراء في مذاهب الشعر والوانه . لعل اذواقنا تتجاوب وآراءنا تتساير فتجد فيها المتعة المنشودة .

حتى قال : « ... وها اني اضع بين يديك الكتاب الاول بعنوان « مشينانا » ، وهو رجع صدى التأمل في الوجود ، ونظرة شاملة الى الحياة ، ومعالم احداث عشتها منذ الطفولة الى عتبة الشيخوخة ، في مقطعات متوازية ضمتها اناشيد اربعة ، مع بضع قصائد متفرقة . اما الكتب الاخرى فأعتزم اصدارها تباعا » .

ونحسب ان شاعرنا الصديق القديم الدكتور سليمان النجار الراسخ القدم في الشعر المطبوع ، قد اعرب بما نقلناه من مقدمة الديوان الاول ، عن مكونات نفسه بعبارات وجيزة كافية ، والآن نقول :

ان الدكتور سليمان النجار قد جمع بين الطب والشعر ، وكثيرا ما نرى الازدواج في عالم الادب العربي وعلم من العلوم كالطب والهندسة والقانون والقضاء وغير ذلك . ولكن اذا كان الدكتور سليمان النجار قد درس الطب في الجامعة الاميركية ، وكان بعد ذلك الطبيب الانساني الذي لا يعوزه عهد ابقراط ، فانه في الشعر لم يتخرج الا من مدرسة الاستعداد الفطري ، قبل نيله شهادة الطب وبعد ذلك ، فالشعر الذي فيه لم يجئه من صناعة ، بل من كونه خلق ليكون شاعرا ، وشعراء الفطرة لا يكونون في توالهم الشعر ، الا كترنيمة الطائر وزقزقته على الغصن المياد في الروض الاريض . وتسمع الموسيقى من آلات ، وهذه مهما استولت على احساسنا فهي بنت صناعة . فالطب يمكن أن يحصله من يريد واما الشعر فلا . فالشعر الفطري غذاء روحي نفسي ، والرغيف غذاء للجسم المؤلف من شرايين .

انطباعاتي عن الدواوين الثلاثة التي ذكرتها :

اولا ـ سلاسة ، عذوبة ، نعومة ، كلها من وراء الغاية .

ثانيا ـ شاعرنا الدكتور سليمان النجار بلسم للمجتمع الذي يعيش فيه عن طريق شعره . وخاصة انفاسه الغزارة ، ولكنه مهما اطال ابياته ، تجلت آياته .

ثالثا ـ تلمح جيدا وانت تقراه ، انه عرك الدهر والدهر عركه .

رابعا ـ لا يغرنك اختلاف الاسماء على دواوينه هذه الثلاثة التي قراتها ، « مشينانا » ، و « هديل » ، و « يا جناني » ، فهو هو ، هنا وهناك وهنالك ، بقلبه المترنم الطري ، فاذا شربت من رأس النبع ومنبجس المياه ، بكوب بلوري أو قدح زنجبيلي ، او كأس من فضة او

جمال شامل

ترقرق مبسمها عن سنا … خلوب يشعشع سحر الشفاه
تضيء لألائه ناظري … وان شب بين ضلوعي لظاه
يولول قلبي على ناره … ويسال : أي مصاب دهاه
فصحت بها ، ويك لا تبسمي … فقد جاز بي شغفي منتهاه

فردت بنظرتها منطقي … فلم ار افتك من عينها
وميض تالق في لجة … من الموج تزخر في جفنها
واهدابها في شطوط الغدير … رماح تاوهت من طعنها
فصحت بها ، ويك ، ان تنظري … فلن تنجو النفس من حينها

فقامت كمغضبة تتقي … ثنائي فابدت رشيق القوام
كغصن تخايل في روضة … تغازله قبلات الغمام
انيق بهيج كساه الصبا … رواء يهيج شجى المستهام
فقلت اجلسي لا تزيدي به … هيامي فما بعده من هيام

فصاحت اتمنعني فتنتي … فاغدو جامدة كالحجر
فادهشني صوتها ناعما … كان له نغمات الوتر
رقيق صدوح يهز الحنين … ويرسم للسمع شتى الصور
فصحت بها ، ويك لا تنطقي … فروعة صوتك احدى الكبر

فاغضت وما نطقت لفظة … وقد يبدع الصمت اشهى المقال
فقلت اعتزي معجبا سانجا … اذا راح يطلب مثلك المحال
تعدد حسنك في عينه … فساد على عقله بالخبال
لكل فتاة من الحسن فن … وعندك كل فنون الجمال

القاهرة

محمد رجب البيومي

ذهب ، فالماء واحد والعبرة به لا بما تشرَّبَ به . فالنجار ينتقل بك من مشهد الى مشهد ولكنك تظل محمولا على بساط ريحه ، وانفاسه المعطرةُ هي هي .

خامسا — في جوانب الالم من نفسه ، الالم العميق ، فانت تدور معه على انغامه الجذابة ، ولكنك لا تطعم « الحادث » او « الواقعة » ، او « الغائب المبكي » على الوضوح الا قليلا .

سادسا — خلق ليشعر مع جميع الناس على اختلاف الوانهم واجناسهم ولغاتهم ومواطنهم واديانهم ؛

ناجى ، كما ناجى غيره من كبار الشعراء « الله » جل وعلا ، في نشيد عنوانه (الله) في اكثر من ٤٠ بيتا اليك منه هذا القليل :

عبدوك في تكن الغيوم وفي الرياح العاصفه
خالوك في وهج البروق وفي الرعود القاصفه
ضرعوا اليك تدل اضلعهم قلوب واجفه
يستعطفونك بالبخور وبالضحايا النازفه
حسبوك تسكن في الرسوم لذن تخط لك الرسوم
وتحل نفسك في الدمى والروح في ولن تقيم
يزجي اليها الابتهال ويعبد الحجر الدميم
ليس الملوم الزمن المفتون ، فالجهل الملوم

ولكن العلامة البارزة في شاعرنا القطري النجار انه هارب من مواضع تسليط الانوار ، فيجتنب الروجات لشعره ، مكتفيا بانتشار الدواوين واقبال القراء عليها ، ويبقى العربي المثالي في شيمه واخلاقه وعروبته .

راس المتن — لبنان

عجاج نويهض

استهلته في تلك الليلة — وهي مراوغه داخل الكوخ — بقولها انهـا امرأة فقيرة ، ومع ذلك فليس من السهل الضحك عليها .. ولئــن كانت لا تعبس في وجهه كلما التقت به عند ملاحته ، او في الطريق فهذا لخوفها من فقدان حفنة من الملح .. وحاولت الاندفاع صوب الباب وهــي تصيح محتجة :

— لا .. ابــدا .. انــك لــم تصادف هوى في نفسي البتة .. يا للمصيبة ... ! انــك بذلك تسيء سمعتي يا حمدان ..

— يمينا ان ما على لسانك لا يمت بصلة الى مــا في قلبك .. قلبك يناديـنــي ... ولكنــك تحشــين المصارحة ..

ولاحساسه بسرورها الخفي لعدم افلاحها في اخفاء عواطفها تجاهه ، استطرد قائلا :

— لا تعملي حسابا للناس ، طالما هم يتجاهلونك ، بل ابدئي بايذائهم..

— تلك هي طبيعتك ..

— ابدا .. انها لعادة — مرة — اكتسبتها من الناس .. هيا ..

— اني اعيش مــن اجل طفلي اليتيمين ..

فصاح فيها زاجرا ، لتكف عــن استدرار عواطفه ، حيث ان مجرى العواطف عنده قد جف منذ الصغر.. على انه طالما تساءل عن سبب حبه لها .. وهي بالذات ، رغم من في القرية من نساء وفتيات .. غير انه لم يجد صعوبة في الجواب .. حيث انه يرتاح لجمالها ، الذي يفوق جمال نساء القرية بأسرها .. ولئن كان يسهر بالمقهى التي كانت تديرها ام عواطف — تلك البغي — التي لا تكف عن التشاحن مــع ابنتها حيث تود الاستحــواذ علــى زوج الاخــيرة لنفسها ... الا انه يمقتها ولا يدري كيف يتهافت عليها حسن الصعيدي — ذلك الفتى الفندور — ومعظم شباب القرية ؟ وأردف قائلا :

— حتــى زوج ابنتهــا ذلــك المتنطع ..

— ان لفي عينيها جاذبية .. انك لم تنظر اليها عن كثب ..

— هــذا لهيامي بــك .. ولكم سهــرت هنــاك للحصــول علــى مبتغاي .. الا اني اعود آخر الليل لاهتف باسمك ، واتــا وخدي في الكوخ ..

وذكرها بتلـك الليلة ، عندمــا سقطت في الترعة اثنــاء عبورها .

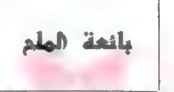

بقلم محمد حسين عبد المجيد

بينما لــم ينتشلها — بين ذراعيه القويتين — غيره ، احتواهما الكوخ الذي لم يكن به احد غيرهما .. ثم هتف قائلا :

— تماما كهذه الليلة .. ولكنك كنت ترتعدين مــن البرد ، فدثرتك بمعطفي ، ورقدت في فراشي ... بينما اضرمت لك النار ، لتستدفئي ، ولتجف ثيابك ... آه ... كنت رائعة ، واسنانك البيض تصطك ..

واستطرد قائلا في تحسر ان اللهب كان يسكب ضوءا باهرا على مفاتنها الخلابة بينما كانت سلبية تماما الى ابعد حد .. ونعت نفسه بقوله انه كان اعمى ، لانه لم يدرك مقدار ما كانت عليه من فتنة ... فعقبت هي قائلة في عتاب مشوب باللوم :

— الــم تكن انــت السبب في ذلك .. ؟ الم اكن احضر لك طلباتك من حانوت القرية يا جاحد ... ؟

— بل انت الجاحدة ... وتذكري انك مدينة لي بحياتك .. فلولاي لمت غرقا ، لكــن القدر ارسلني اليك ليلتها .. كنت اسير علــى الجسر الــذي كانت تكنسه ريــاح الشتاء القارس ، عندما تناهت الى اذني صرخات استغاثة ..

ومضى قائلا انه لطالما كان يرقبها كلما عرجت الى الكوخ للارتواء من قلته الباردة ، او كلما اتت فرارا من القيظ ، لتستظل تحت السقيفه .. وهز راسه في اسى وهو يقول :

— كنت ترتوين بمائي ، بينما انا ظامىء اليك .. ولقد صبرت بما فيه الكفاية ..

واندفع صوبها ليمسك بذراعيها.. ولقاء ذلــك تلقى منها صفعة قوية جعلته يهجم عليها ، ويحتويها بــين ذراعيه ..

— اجننت يا حمدان .. ؟

— جننت بك .. اصرخي .. فهذه فرصتي ..

وضغطها بقوة جعلتها تتأوه بين ذراعيه ، وهي تناضل قائلة :

— لن تنال مني .. ها هــي بندقيتك معك ، اطلقها علي ..

— بل افرغ رصاصها في رأسي اذا انا تركتك تفلتين .. اصرخي .. فكوخــي في احضــان الصحراء ، والرياح تزمجر .. والمطر يغــرق الدنيا .. لقد اكلت الغيرة صدري وانت تخطرين رائحة ، غادية مع ذلك العجوز .. وهل هناك غيره.. ؟

— عــم عبادي رجل عجوز .. ومع انه لا يضن علينا بشيء الا انه

يحشى القيل والقال ..

وحاولت انتزاع نفسها .. فهددها بقوله انه لديه من الحيل ما يحملها على التسليم .. اذ يمكنه تعليق البندقية في عنقها ، واقتيادها الى المركز .. وهنالك سيتولى امرها السيد المأمور ، الذي سيوجه اليها تهمة سرقة سلاح اميري اولا ، وتهمة سرقة الملح ثانيا .. واردف الخفير قائلا :

ـــ ولكن مع كل ذلك لن تهوني علي ، بل اغترفي من الملاحة ما تشائين .. وكوخي لك بما فيه .. لك وحدك ... وانا لك ايضا ..

وراح يلاطفها .. ويسكب حلو الكلام ، ورقيق الهمس في اذنيها ، الى ان سادهما الصمت .. بينما الرياح تصفع جوانب الكوخ وتلفه بحزام الليل البهيم ..

* * *

وفي صباح يوم جار ، تهالك عبادي العجوز بجانب كومة من اكوام الملح المتألق تحت الصفحة الزرقاء ، ثم انهمك يلف ساقيه المتورمتين بقطع من الخيش .. وما ان فرغ من ذلك حتى صاح في ابنه متحفزا ، ليعمل بهمة ، قبل ان ترتفع الشمس ، وتزداد حرارتها توهجا ، ثم نهض وراح يخوض المياه البنفسجية الراكدة في بطن الملاحة .. وجفل عندما تراءت له صورة المرأة ـــ التي نعم بوصالها خفير الملاحة ـــ وهي تتكسر على صفحة المياه الدامية ..

وما ان بلغ اليابسة حتى شرع يعمل جاروفه في كتل الملح ، الذي ينهار في كثير من الاحيان ، ويتسرب منه حيث المياه الراكدة ، فيهدر مغضبا :

ـــ يا للملح المر مرارة العلقم ..! حتى الجاروف الصدأ ليس بمستطيع على مواصلة العمل .. لقد اكله الملح .. والدور علي انا .. اسرع يا صابر قبل ان يأتي ذلك الغادر ، فيملأ الدنيا بصياحه ، ثم لا يلبث ان يقلب العربة ، ويمرغ الملح في الوحل ـــ كما مرغ المرأة التعسة ـــ ولا يكف عن ذلك الا بعد ما نسد حلقه بالعشرة قروش ..

والتفت الى ابنه ، ثم غمغم قائلا :

ـــ لقد صار وحشا منذ ان زلت المسكينة .. يا الهي .. ! آه .. يا ابن الابالسة .. انه حمدان ، ذلك الذي اطلق بندقيته ..

واحس العجوز ، كما لسو ان الطلقة ، قد اخترقت رأسه ، فارتبك ، وصاح ، بعد ما انفلت الملح منه :

ـــ الي بقطعة الصاج يا صابر ،

محمد حسين عبد المجيد

لا ادري كيف زحفت المياه الينا ...؟ ام ان الارض تسيخ .. ؟

وتسرب الملح من بين اصابعه العجفاء ، المرتعشة ، وذاب في المياه .. فتوقف وهو يضغط على عجزه متألما ، ثم شرع يجفف عرقه المتصبب بردن قميصه الكالح ، وهو يلهث ويصيح بحنق :

ـــ الا لعنة الله عليك يا حمدان .. ؟ يا من اشقيت المرأة .. واذللت ضعفها .. ليتني ضربت بما كان سيقال عرض الحائط .. والله لاذيقنك طعم الهوان يا بن الشياطين ..

قاطعه حمدان ـــ عندما برز من وراء التل الرابض بجوار الملاحة ـــ بقهقهة عالية جعلته يجفل مضطربا في قلب المياه التي يخوضها ، ثم لوح الخفير بارنب بري ، وقال :

ـــ لقد خرقت شتائمك اذني .. ومع ذلك ساكون طيبا معك اليوم .. هات المعلوم ، لأطهو هذا الارنب .. لقد دوخني هذا اللعين .. من الفجر وانا اسعى في الصحراء لصيد فريسة لا يكلفني اقتناصها سوى خرطوشة واحدة ..

وتطلع الى الارنب ، وقال :

ـــ يا لك من ارنب تعس ..

ـــ آه .. يا شقي انك لا تبالي .. ولكن سيأتي اليوم الذي يتملكك فيه الندم ، وينهش راسك ـــ تماما ـــ كما ينهش راسي الآن .. يا نجس ..

فلوح الخفير بالارنب الذي يقطر دما ، وقال :

ـــ عجل .. واعطني المعلوم .. هذا لا يهم .. اريد ان اعيش .. ام أني بغير ذي بال عند الآخرين .. ؟ لعلك تعرف اني كابدت ، بل ذقت الامرين الى ان حصلت على هذه الوظيفة المحترمة .. ما علينا .. هات ما معك لاعد هذا الارنب الذي صرعته .. ولا تعكر صفوي ..

ـــ وهل انت سعيد بمصرعها..؟ هي التي مرغتها في الوحل .

ـــ وماذا يهمني اذا كنت لا اهم احدا يا عم عبادي .. ؟

وضحك ضحكة باهتة ، ثم ذهب يقول ان امه كانت اجمل من ام فتحية .. وعاش والده في صراع معها ، حيث انها كانت تصعر خدها له .. بينما استجابت هي لذلك الشيطان الذي لم يقهره غيره .. والحق انه كان اقطاعيا رهيبا يمتد سلطانه في كل نواحي البلد ..

وزفر في شبه ارتياح . ثم قال :

ــ أرح نفسك ايها العجوز .. انها تمنحني نفسها من طيب خاطر..

ــ انك لا تستحي .. سأقابلها ، وامنعها حتى من اغتراف الملح من ملاحتك ..

ــ حذار من التفكير في مشاركتي اياها ايها المعتوه .. انها انقطعت عني .. ولكني على يقين من انها ستعود الي مرة اخرى ..

ــ طفح بك الكيل يا عبادي .. طفح بك الكيل ..

وغاص بيديه في الماء ، حيث كان واقفا ، ثم انتزع بعض الحصى والطين ، وجعل يقذف حمدان ، ويمطره بوابل من السباب والشتائم ، مما جعل الاخير يصيح هادرا :

ــ اخرج ايها العجوز .. والله لاحرمنك من نزولها مرة اخرى ..

ــ فلتذهب الى جهنم انت وملاحتك ايها العاطل .. اجل .. انك تاكل من كدنا ...

وطفق العجوز يصعد التل ، وهو يرغي ويزبد .. وما ان دنا من حمدان حتى القى بنفسه عليه وراح يكيل له الضربات .. وكاد يهوي بمؤخرة البندقية على راسه الذي كان قد تلطخ بدم الارنب .. الا انه توقف بغتة عندما سمع صياح غلام كان يعدو ، مقبلا نحوهما :

ــ عم عبادي .. يا عم عبادي..

وتوقف الغلام ، ليلتقط انفاسه المتلاحقة ، ثم استطرد قائلا :

ــ ام فتحية .. يا عم عبادي ..

فغر العجوز فاه ، وقد تخلت يداه عن البندقية لتسقط في الوحل ، ثم صاح متسائلا :

ــ ما لها .. ؟ هه ..

ــ غرقت .. كانت تجمع المحار عندما طلع عليها البحر فاغرقها ... !!

ما ان سمع حمدان ، وعبادي العجوز نبأ غرق ام فتحية حتى اسرعا عدوا الى البحر بعدما عبرا الترعة بالمعدية .. وهنالك اخترق العجوز ــ وهو يلهث ــ لفيفا من اهالي الناحية كان قد سبق ، لرؤية الغريقة .. دنا مفغور الفم ، متعثر الخطوات ، وفي أعقابه حمدان ، ذلك الذي تملكه الشعور بالاثم ..

وما ان رآهما رجب الصياد حتى هتف مطمئنا :

ــ لا تخف يا عم عبادي .. انها ما تزال بها الروح .. لقد كنت في ذلك الوقت ــ مندفعا بقاربي ــ مع التيار ــ وسط الخيران ، فلمحتها وهي تصارع الامواج ..

وانحنى حمدان ــ في وجل ــ ثم جعل يتفحص بائعة الملح المسجاة على رمل الشاطيء ، وثيابها الملطخة بالوحل والدماء في كتفيها .. بينما ذهب من هم حوله يحدقون فيه باستنكار مشوب بالحذر .. فجذبه العجوز ، ليبعده عن المراة ، لشعوره بانه هو السبب في كل ما الم بها .. فرشقه حمدان بنظرة ذات مغزى ، جعلته يتخلى عنه ، لا سيما عندما لاح له الدمع في مقلتيه ..

ــ ليس لك ان تبعدني عن روجي يا عم عبادي ..

فغر العجوز فاهه دهشة ، وقال :

ــ منذ متى ايها النذل .. ؟

ــ منذ ان جعلتني ابكي .. من الآن ..

فانحنى العجوز على حمدان ، واسر في اذنه قائلا :

ــ هل ترى ما اراه يا ولدي .. ؟

ــ اجل .. انها ... ولذا ساكون مجرما ، ان لم اتزوجها ، لاني على يقين من انه ابني انا ..

فتمتم العجوز بشفتين مرتعشتين :

ــ سامحني يا ولدي ، لاني ما تشاجرت معك ، الا لاحساسي بالضيق ، والكمد من اجلها ..

وجعل حمدان يزيل آثار الدماء .. والوحل الملطخة به البندقية من جراء عراكهما قبلما يصل اليهما نبأ الغريقة ..

ــ ارايت .. لقد انفض الناس عنا ، بعدما تيقنوا من انها لم تمت ..

ــ انت السبب في بغضهم لها ، ولك ...

ــ ولذا لن تعود الى قرية الفار مرة اخرى ..

ــ هل ضاقت عليها الدنيا ، لتاتي الى البحر .. ؟

تساءلت بذلك عجوز درداء ، ثم اجابت على نفسها قائلة :

ــ واي حرج في ذلك .. كلنا ناتي الى البحر ، لنجمع المحار ، ونصطاد السمك ، ونستحم ولكن .. لا لنعمى ، الى ان يطبق البحر علينا ، مثلما حدث للصيادين الثلاثة .. عقلي يقول انها ما جاءت الى البحر الا للتخلص من .. من نفسها ..

ــ عم عبادي .. اطرد هذه العجوز ، التي تحاكي الغربان .. كل الناس مروا من حولنا .

وتناول حجرا ليقذف به المراة العجوز ، التي اسرعت لتنهض مدمدمة :

ــ ارح نفسك انها لن تعيش .. لن تعيش ..

وذهب عبادي ، لينقل متاع ام فتحية ، وطفليها الى كوخ حمدان ، حسب مشيئته .. بينما حمل الاخير بائعة الملح ، قاصدا بها كوخه .. وعبارة العجوز الدرداء تطن في اذنيه كنذير للخطر ..

القاهرة **محمد حسين عبد المجيد**

اللحظة

جرح اللحظة يطرح ازهار الاحزان
ويجيء الموت ينادي فلا اكفان
يرسم قلق الساعة
غابات النسيان
ينمو حزن الشاعر
يختنق الوجدان
ينمو الطوفان
ينمو الطوفان

يا هذي اللحظة خبئيني
فانا ما زلت في رحم الماضي مدفونا
ابحث عن تكوين آت
عن ثورات ... عن طوفان
واظل ، بعيني الكلمات العاشقة
عن زمن مبتور الزمان والمكان
نار الطوفان تحرق الابواب
شاعرا جئت
واحاول ان انادى باسم طقوس الصمت
باسم اسفار الموت الجدب
الحزن ... اللقيا الخرساء
باسم طفولتنا الجرداء
باسم الشاعر الذي يحترق
في نبت الحضارات
فهل من سمع النداء
اسقطوا الابواب
فلا صدى ولا نداء

جئتكم باسم الكلمة
بركانا كان صدى الكلمات
وكانت اذ تنمو كلماتي تبعث رحيق شمس جديدة
والآن اذ تنمو تبعث الجراح الخاسرة

تلقيني شمسي بنداء مطلسم
تلقيني بثياب الكلمة الخضراء
برحيق نبيذها المخضل
تتجسد بلا روح
ابحث عن « ميدوزا »
ذات العيون الكلسية
شاهدة العصر المجنون

كل غروب ...
تنتحر اللحظة
وينمو طوفان آخر
آخر اسراري ابعثها من شمس
غارقة في بركان الابدية
في انتظار معان جديدة
لا جديد تحت الشمس

*

ناصر ناشد

*

القاهرة

ياسين طربوش المربي والاديب

(١٩٠١ — ١٩٧٧)

بقلم مقبولة الشلق

* * *

اني لا اعلم سر هــذا الحافز الذي يدفع بالكاتب الى الكتابة .. ولا سر هذه القوة التي تصرفه عن كثير من شؤون الحياة ، وتزهده بهـا ، فيسهر الليل باحثا ، محققا ، يضني جسمه ، ويضعف بصره ، لكنه يحس بالسعادة تملأ كيانه عندما ينقل بالكلمة مـا يجيش في نفسه ، فيدافع عن حق ، ويجهر بحقيقة ، ويحقق رأيا ، او يكشف تراثا ، وهو لا يبغي من وراء ذلك مغنما ، بل انه كثيرا ما يصاب بخسارة مادية ، هذا اذا لم يتعرض لنقد لاذع ، او تهجم عنيف مغرض ..

ان هذا الكاتب ليس الا ... من ... الذين يرسلهم الله في كل عصر ... وفقيدنا الاستاذ ياسين طربوش احد هؤلاء ... لقد عشق العروبة ، وسرى حبها في شرايينه ، فهام بلغتها ، لغة آبائه واجداده ، ووقف حياته كلهـا لخدمتها ، لقد عاش مجاهدا ، رافعا لواءها ، باعتزاز وايمان ، لا يأبه بما يعترضه من عقبات ...

لقد شغف بنشرها وتعليمها ايما شغف . فكم اعطى دروسا خاصة لطالبات وطلاب ولم يتقاض منهم اي اجر ، لان هدفه نشرها ، وامنيته تعليمها والاحرى به ان يعطيهم اجرا لانهم حققوا له مـا يهدف اليه وما يتمناه . كانت الابتسامة لا تفارق ثغره ، والرضا يغمر نفسه ، عندما يشعر ان طلابه يتجاوبون معه ، فيغوصون معا في اعماق بحرها ، ويلتقطون ما استطاعوا من لآلئها ودررها .. لو كان باستطاعته ان يجمع الناس من الطريق ويجلس معهم يعلمهم ، ويفهمهم اصولها وقواعدها لما توانى عن ذلك .. ولو اتيحت له الفرصة ان يعلم في الليل والنهار لما تقاعس او لبذل من نفسه ومن روحه في سبيل اداء هذه الرسالة ..

لقد عرفته في اواسط الثلاثينات عندما تزوج اختي الكبرى ، وكنت قد نلت شهادة التعليم الابتدائي وانتقلت الى الصف السادس في تجهيز البنات .. فعلمني قواعد الصرف والنحو باسلوبه الممتع ، واشرف على دراستي في اللغة العربية ، فكنت اقرأ له ما اكتب من نثر ومن شعر ، فيصحح لي الاخطاء ، ويرشدني الى الصواب . وكان حتى في جلساتنا العائلية لا يفتأ يسألني عن اعراب بيت في الشعر او يذكرني بقاعدة ، او موضوع ، او قصيدة ... وكانت لديه في ذلك الحين مكتبة في بيته تضم ما يحلو لي من نفائس الكتب ، فكانت خير ينبوع له استقي منه متى اشاء ..

وعرفته في ذلك الحين متعبدا ، خاشعا ، يسهر الليل في محرابه يقرأ ويكتب ، ويؤلف ، ولا تفتر لـه عزيمة ... كان كلما اغرق نفسه في العمل احس بالراحة تغمر صدره ، وبالنشوة تسري في اوصاله .. كان طموحا الى ابعد حدود الطموح ، يجابه المصاعب بجد وتفاؤل ، وعندما يصل الى مبتغاه يرقى بنظرة الى الاعلى ثم يواصل الصعود ...

لقد درس في اوائل الاربعينات الصفوف العليا في مدارس البنين والبنات الرسمية والخاصة . وطلب منه ايضا ان يدرس في احدى مدارس البنات وكانت مديرتها افرنسية ، وطالباتها لا يعلمن الا القليل من العربية .. ولما تعذر عليه تلبية الطلب لانشغال وقته بكامله ، فقد كلفني ان اقوم بذلك . وكنت في السنة الثانية ، من دراستي الجامعية ، فلبيت طلبه بسرور كبير ، فارشدني الى طريقته في التدريس التي تضفي على جو الصف حيوية ونشاطا ، مما حبب الى الطالبات تعلم العربية بلهجة قوية واندفاع كبير ، فضمن ذلك نجاحهن في الشهادات العامة بتفوق كبير ...

ثم درس في اواخر الخمسينات في كلية الآداب في جامعة دمشق كما الف مجموعة كتب درست في سنوات عديدة في مراحل التعليم الابتدائي ، والاعدادي والثانوي .

وفي الستينات دعته الجامعة الليبية ليدرس فيها في كلية الآداب ، فلبى طلبها طوال سنوات تسع ترك خلالها اثـرا طيبا تدين لـه الاجيال ، وتشهد بفضله المجالس والصحف والمجلات ..

ولما كان من طبعه الاستمرار في العطاء ، فقد انقطع بعد عودته من القطر الليبي في اول السبعينات الى الكتابة والتأليف . وكانت تضمنا ندوات ادبية نتبادل فيها الاستماع الى ما كتبناه . فكان رحمه الله يأنف من العامية ، ولا يجد مبررا لاستعمال اي لفظ منها ما دامت لغتنا الفصحى ثرية بالفاظها ومعانيها . وكان لا يستسيغ الشعر الخالي من الوزن والقافية ، بل يطرب الطرب كله بالاستماع الى الشعر العمودي المقفى والذي يمتاز بجزالة الالفاظ وفيض المعاني ، ورقة الاحساس ، وصدق المشاعر ...

ان احتفالنا اليوم بتأبين علم من اعلام اللغة والادب

(*) الكلمة التي القتها كاتبة المقال في حفل تأبين المرحوم ياسين طربوش بدمشق .

الى ارملة

مـلات طريقه بالشوك حيـا	ومت عليه مـن اسف رفاتا
فهـل تبكـين صادقة عليـه	وعذرك ان مـا قد فات فاتا
وهـل اضحت فواهته بيانـا	وآسن مائـه امسى فراتا ؟
انابـى ان نصدق ان نثبـا	تحولـه صروف الدهر شاتـا
زواجك منـه كان عليه ويلا	فهـل جـاءت منيتـه نجاتـا
يمينا لـو عطفت عليه حيـا	لمـا ضاقت به الدنيا فماتا !

بوانس ايرس ــ الارجنتين

زكي قنصل

واجب يحتمه علينا الوفاء ، ويفرضـه الضمير .. ولكن السنا مقصرين عندما لا نكرم الادباء الا بعد وفاتهم ... افلا يستحق هؤلاء الفدائيون المتطوعون بحماسة واندفاع ، وبصدق وايمان ان يسمعوا في حياتهم كلمة طيبة ؟ ..

فما احوج الاديب الى الكلمة الحلوة ! انها كاللمسة الندية الناعمة من اليد الحنون على جبين المحموم ...

افلا يستحق كتابنا ان نساعدهم على الاقل في نشر انتاجهم ما دام النشر قد اصبح من الصعوبة بمكان ...

ان ما يعانيه كتابنا قد عاناه فقيدنا الاستاذ ياسين طربوش .. لقد امضى سبع سنوات متواصلة ، في اواخر حياته ، متفرغا في تاليف الموسوعة النحوية التي سماها « مسالك التراث » وقد اتم منها الجزء الاول ولم يتيسر له نشره ، فعكف على تاليف الجزء الثاني فكتب ثلثيه وعاجلته المنية ولما ينهه بعد ...

افليس من حقه علينا ان نتولى نشر ما سهر من اجله ، وما تجشم من مشاق لتوفيه بعض حقه لا سيما وان هذه الموسوعة تعتبر من اهم المراجع في النحو والصرف للطلاب الجامعيين والثانويين وللادباء ولمحبي اللغة ..

ايها الاستاذ الراحل .. ايها العربي الاصيل .. يا من بذلت واعطيت وضحيت من اجل العروبة ووحدتها .. ايها الامين علـى لغتنا وتراثنا اننا لا ننسى قولـك : « ان اللغة العربية عنصر هام مـن عناصر بقـاء امتنا وخلودها ، وهي وعاء لنتاج سهر عليه السلف فكان تراثا نمينا للخلف » ..

لقد فقدناك في ظرف ونحن في اشد الحاجة اليك والى امثالك ، في ظرف يتسابق فيه الذئاب الى نهش لغتنا ، ويتبارى المغرضون في اطفاء وطمس بريق لألئها ودررها ... فليخرب مـا شاء المخربون ، وليدسوا من السم مـا يدسون ، فهيهات ما يحلمون ... هذه امتدتنا ، وهذه قوانا كلها مجندة من اجلك يا ام اللغات .. ستظلين باقية قوية مـا دامت الشمس تسطع ، ومـا دامت الارض تدور .. انت لغة القرآن ولقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المنزل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ...

لا اعلم لمن اوجه واجب التعزية في هذا المصاب الاليم .. المنطقة القلمون التي انجبت ذلك الابن البار المخلص الامين الذي بذل مـا بذل من جهد في خدمتها وتقدمها ... ام لدمشق التي عرفت كفاحه المرير ، ونعمت اجيالها بعطائه الغزير .... ام للقطر الليبي الذي جنى بدوره من ثمرات علمه وفضله ... ام لأسرة الفقيد التي افتقدت به ابا مثاليا وسندا قويا ... ام لطلابه الاوفياء الذين نهلوا من صافي نبعه الرقراق ... ام للامة العربية التي خسرت بفقده ركنا مـن اركانها وعلما مـن اعلام لغتها .. وليم الحق ان الخسارة به فادحة ، وان الخطب به جلل .. ونحن جميعا بحاجة الى التعزية وانا لله وانا اليه راجعون ...

دمشق

مقبولة الشلق

ابراهيم عبده الخوري

من حكايات المقهى

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

تحلو لي العودة الى لقاءات عدد من [illegible] الامكن و[illegible] الذين حسبتهم اصبحوا في العالم الآخر ، نتيجة احداث مدمرة شهدها هذا الوطن ، وكانت تتك فيه صروح القلم والريشة والازميل .

وهناك رسام اشتهر بصرعاته الفنية ، كانت اخباره قد انقطعت عني طيلة سنتين . فالتقيته في مقهى « واكيمز » ببيروت ، عائدا لتوه من منفاه في باريس الذي فرضه على نفسه هربا من جحافل الموت التي شنت غاراتها على المدينة الراقصة ..

ولتوه اخبرني ان اعماله الفنية .. كل اعماله ، من زيتيات ومائيات ولوحات صنعها بالنار فوق قطع من الخيش ، بقيت مغلوشة فوق « تتخيتة » منزله ، فسلمت من الصواريخ وايدي اللصوص ، وعادت تروي — بمنجهية — قصة حياته معها .

وصاحبي الفنان ، ويدعى « جان » ، سريع النكتة ، بشوش الوجه ، معجب بشاربيه يرقصان فوق شفتيه ، اعجابه بريشته التي هي فريدة من نوعها كما يدعي ، والتي جعلت منه كبير فناني هذا البلد . حتى ان عددا من فناني حي «مونمارت» بباريس شهدوا له — حسب قوله — بأصوليتها ، وسرعة توزيعها الالوان الصارخة ، عندما وقفوا على لوحات اضطر الى رسمها في باريس وبيعها ، ليطرد عنه شبح العوز والفاقة الذي طرق باب غرفته في « البيت اللبناني » حيث كان ينزل .

— « انا رائد الفن التجريدي في بلدي ، يا استاذ » .

جملة ، لكثرة ما رددها امامي فاصبحت مألوفة عنده ، كانت تمزق طبلة اذني . واذكر انني ، وانا اكتب تحقيقا لمجلة « الجمهور » اللبنانية عن معرض فني جماعي اقيم في القاعة الزجاجية لوزارة السياحة ببيروت ، وسمي « معرض لبنان ٧٨ » ، امتعضت منه لانه الح علي ان اذكر اسمه الى جانب فنانين — هم اليوم هرم الفن عندنا — غابوا عن المعرض .

— « ولكن يا « جان » لست فنانا مبتكرا ، يوازي اسمك اسم فنانينا المرموقين امثال : عارف وحسين ووجيه وجوليانا وامين وبول . واذا كان لا مفر من ذكر اسمك الى جانب اسماء هؤلاء الرسامين ، فاكون بذلك قد خنت الامانة الكتابية » .

فنهض واقفا وقال ، والغضب يتطاير منه :

— « انا ، يا استاذ ، صاحب المدارس التكعيبية والانطباعية والرمزية . انا رسام الملوك والقادة . انا مبتكر الوان بزت الوان بيكاسو ، عملاق الفن المعاصر . لذلك لا اتمرغ في الوحل واعرض مع الذين علقوا اعمالهم في « معرض لبنان ٧٨ » ، فهؤلاء اعتبرهم من تلامذة مدارسي التي لا تغيب عنها الشمس » .

المفاخرة بمعطياته هي سلاحه الاوحد . انه بفنه موهوس [illegible]وان الحسرة تتآكله ان علم ان فناننا ما بدا يشق طريقه متكلا على ذاتيته . حتى انه ليتقطر حسدا من اخيه « يوسف » الذي برع في زرع الوانه فوق القناني ، فجاءت عملا فنيا مميزا لا شبيه له على ما اعتقد في شرقنا . ويشاطرني الاعتقاد هذا « سمير » الرسام الممتلىء عافية ، والذي تنبأ لـ « يوسف » بمستقبل مشرق ان واظب على مسيرته الفنية . و « سمير » هو من ندماء جلساتنا في مقهى « واكيمز » .

قلت مرة لـ « يوسف » مشجعا :

— « عملك المبتكر هو في غاية الشفافيه والزخرفة . انك ماهر في جعل الالوان تتعانق فوق قنينة تنشرها ، فتصبح قطعة متجانسة على شكل اناء او مزهرية او كاس » .

امتعضت شفتا « جان » عندما سمع كلامي ، واهتز شارباه ، وهتف قائلا :

— « صحيح انك تجهل حقيقة المعطيات الفنية وحقيقة ابعادها . القناني ، هذه الاعمال التي تحمل في اسفلها اسم اخي ، هي من صنع اناملي انا .. اناملي التي تهتز لها البحار ، وتترك بصماتها فوق كل عمل فني جبار . فانا الفن في عمق وجدانياته ، في ارفع سلطانه ، في جوهر كينونته . انا المنشار واللون ، وكل ما فعله اخي ان جبل اسمه بالوان نافرة في اسفل كل قنينة ، كما

شاهدت . ومن غير المعقول ان تسخر قلمك من اجل شخص تريد ان تجعل منه رسلما رغما عنه وعن سنة الحياة الفنية » .

فقلت له :

— « انا اعيش لاكتب عن قناعة . لذا سأسخر قلمي في سبيل كل عمل تكون الاصالة عموده الفقري ، ويقوم به ناشىء يبتسم للحياة . سأختزن كل خاطرة تمر في راسي ، ثم افجرها ضمن سطور نافرة . سارسم صورا ناطقة لكل البواكير والبراعم المبدعة ، لانني سأماشي ركب التطور اينما كان . وان احجمت عن ذلك او تقاعست — لا سمح الله — فلا بد عندئذ من رمي القلم في بحر الهوان ، والانزواء داخل منزل يلفني بضجر ووحشة ، وتنتابني هواجس فراغ » .

وكما لا يرتاح الى اخيه لا فانه ايضا لا يرتاح الى زميله « سمير » . وعندما تذكر له ان « السمير » هذا اضحى مدرسة في السوريالية ، وانه مواظب داخل محترفه على تثبيت زيتياته فوق الوان عنيفة ، وتشذيب خطوط مائياته ، يعود « جان » الى معزوفته الرتيبة متمالكا — هذه المرة — اعصابه ، ويقول :

— « صاحب المدارس الفنية ، في وطن النجوم ، هو انا ، وانا فقط . و « السمير » هذا هو سميرك انت . والبون شاسع بين لوحة لي ولوحة له ، ان من ناحية الموضوع او من ناحية عمق التجربة وانتقاء الالوان » !

فاجيبه قائلا :

— « ولكن المعرض الذي اقامه منذ ايام في منزل سيدة — ما علقت فوق جدرانها الا القطع المميزة — كان قنبلة الموسم الفني . وقد بيعت اغلبية لوحاته قبيل افتتاح المعرض . وانت بنفسك شهدت له بعمق افكاره وبنظافة الوانه وبحسن اختيار انسانه عندما رحت تسرح النظر فوق هذه الزيتية وتلك المائية . وكان انسانه يعاني مأساة الاحداث التي حلت بوطنه . و « سمير » عرف كيف يجسد مأساة هذا الانسان ومعاناته ، وكيف لا وهو الذي وجد في خضم تلك الاحداث . فراقبها مليا واستطاع ان ينقلها حية بطريقة عفوية الالوان . لذا فان الوانه — كل الوانه — جاءت ملتهبة .. نابضة بالقوة .. جاءت في مجملها حمراء فرضها عنف المأساة فرضا ، وبموافقة الفنان نفسه . ان انسان « سمير » هو المتفوق على ذاته : خرج من القمقم واخذ يفتش عن الافضل بعدما رأى تشويه القيم وتحطيم المثاليات ، والتنكر للمبادىء الانسانية . عاش بين الذعر والخوف والتفكك ، ومع ذلك ابى الركوع ، ودأب على ايجاد كيان جديد مميز » .

ومرة فاجأني « جان » وهو يمج سيكاره بقوله :

— « انت تعلم ان معارضي السابقة — وقد كتبت عن محتوياتها محللا وناقدا — كانت تقام في فندق « سان جورج » الذي صار اليوم هيكلا عاريا ، تمرح فوق ارضيته الجرذان . ان حنيني اليه يتأجج ، وكلما امر امامه تروح الذكريات تطاردني . ولاسترجعها قررت ان ازين خرائبه ببعض لوحات رسمتها في اوقات الفراغ . اليست هذه خطوة جريئة ؟ » .

وبعد تنهيدة قصيرة تابع يقول :

— « واذا ارتأيت انه يتعذر علي ولوج خرائب الفندق الدامع ، او ان الجرذان ستحاصر لوحاتي وتمعن فيها قرضا قبل تدفق « الجماهير » لمشاهدتها واستخلاص السر الفوقية منها والتحتية ، فسأشحن اللوحات الى الصين ، وهناك اعرضها على جدارها الشهير ، وبذلك اكون اول فنان من الشرق يعرض فوقه . وسيتقاطر نقادة الرسم في العالم الى معرضي ، ويكتبون عن فنان حمل معه الكمال والابداع في زيتيات دائمة مشعة النور . كما ان الاقمار الاصطناعية ستنقل واقع المعرض الى بلاد العالم الشاسعة » .

فتاملوا يا ناس ، وعوا ، واستظرفوا صرعات هذا الفنان .

وتتوالى حلقاتنا المسائية في المقهى ، وتتكاثر مستظرفات « جان » . ومنها انه واقع في غرام فتاة مخطوبة ، وقد بدأ يتغنى بها شعرا اين منه النثر الغث والسجع الوقع على الاذن . وتدليلا على حبه الصامت لها جرح يده ، تشبها بالفنان العبقري فان غوغ الذي قطع اذنه اكراما للتي وهبها حبه الاعنف . وان حملها على فسخ خطوبتها ، فسيتزوجها .

— « سترتدي ثيابا فضية اللون يوم زواجنا ، قال . سيكون زواجنا في الهواء الطلق ، وسادعو اليه رواد الفضاء . وسنختار كوكبا لقضاء شهر العسل فيه » .

لقد حسبته يتكلم من وحي الخيال . لكن شقيقته اخبرتني ان خياله هو الواقع بعينه ، ذلك انه قصد فعلا خياطا وطلب منه ان يفصل له بذلة فضية جاهزة لارتدائها يوم العرس .

عجيبة وغريبة تصرفات هذا الفنان وتطلعاته المستقبلية ، وظريف اسلوب سردها امام الناس . وعندئذ لا مناص من ان تسترسل في الضحك .

ويدور دولاب الايام دورات متقطعة الانفاس . وتبقى جلساتنا في « واكيمز » حميمة ومشرقطة . فالفنان هو هو ، وبقية الشلة هي هي . يعيش ماورائياته وآماله حسب مزاجه ، ونحن نصغي ونسجل ، او نشرد على انغام موسيقى الاحلام .

ابراهيم عبده الخوري

نشوء قطر وتطورها

دراسة تاريخية للدكتورين عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش — قدم له الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى — منشورات دار ذات السلاسل (الكويت) — مطابع دار اليقظة (الكويت) — ٨٤ صفحة من القطع الوسط

كان لي من السوانح اللطيفة ، خلال ترددي على الدول الشقيقة في الخليج العربي ، ولا سيما دولة الكويت ، ما جعلني اتعرف الى شخصيات فكرية واكاديمية مرموقة المكانة ، ومنهم الصديقان العزيزان الاستاذ الدكتور عبد العزيز المنصور وزوجته الاستاذة الدكتورة فتوح الخترش ، وهما استاذان في قسم التاريخ بجامعة الكويت ، فضلا عن كون الدكتور المنصور مراقبا عاما للبرامج في اذاعة الكويت ، ومؤلفا مشهودا له بالدقة والشمول تعاونه في ذلك الدكتورة فتوح ، وترفد ادبه وفكره بعطاء طيب يضاف الى عطاء طيب ، ويتجلى هذا الاسهام المشترك في كتابهما المشترك « نشوء قطر وتطورها » .

واذا كنت احب ان انوه بجانب آخر من جوانب علاقتي بالدكتور عبد العزيز المنصور ، قد يخفى على عارفيه والمتابعين لنشاطه ، فكونه بالاضافة الى نشاطاته الكثيرة مستشارا للمركز التنفيذي للتنمية الذي اسهم حتى الآن في تنظيم الحلقات التدريبية العديدة لمديري المؤسسات الرسمية والخاصة في دول الخليج وبعض الدول الاخرى في الشرق الاوسط ، والذي يسعدني ان اكون مديرا للمناهج العربية فيه .

اما كتاب « نشوء قطر وتطورها » ، فاشهد اني شهدت بعض مراحل ولادته ، اذ التقيت اثناء احدى رحلاتي الى البحرين الصديقين الدكتور عبد العزيز والدكتورة فتوح ، وكانا عائدين لتوهما من دولة قطر ، معرجا على البحرين في طريقهما الى مقر عملهما في الكويت ، حيث عمدا الى استكمال بعض عناصر الكتاب الذي جاء صغيرا في حجمه ، عظيم الاهمية بمضمونه التاريخي الموضوعي ، ناهيك بكونه خلاصة وضعت للتداول بين ايدي الجمهور العام العريض ، اما الدراسة الاكاديمية الوثائقية الاصلية فتنتظم في سفر ضخم ينتظر ان يقدمها المؤلفان قريبا للدارسين المختصين .

وفي يقيني ان الدكتورين المؤلفين استطاعا في كتابهما « نشوء قطر وتطورها » ان يجلوا من تاريخ الدولة الفتية الشقيقة ، ومن تاريخ المنطقة العربية في الخليج اجمالا ما كان مستغلقا على الاذهان ، ومجهولا بالنسبة للمهتمين بتاريخ المنطقة البكر التي تؤثر تاريخيا واقتصاديا واستراتيجيا في توجيه الكثير من السياسات الدولية في الوقت الحاضر .

في التوطئة التي تلت مقدمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى للكتاب ، يوضح الدكتوران المؤلفان ان « القاعدة العريضة لجماهير القراء تجعل الكتابة المتخصصة في موضوع ما ، لونا من الوان العبء الذي يحتاج من الكاتب اتساع التصور لكل المستويات الثقافية ومدى ما يلائمها في هذا الموضوع . ولكننا ايضا في عصر « الانفجار المعرفي » الذي جعل من الفرض اللازم للمعاصرة ، بل للمواطنة والالتحام بالعالم من حولنا ، الالمام المستعرض بالوان شتى من المعارف والعلوم والفنون »

ومن هنا ، ان الكتاب وضع لغير المتخصصين حتى تكون الفائدة منه اعم واشمل. لكن الصعوبة التي اعترضت المؤلفين تعود بشكل اساسي الى انه على الرغم من الاحداث الخطيرة التي مرت على منطقة شبه الجزيرة العربية ، والصراع العالمي عليها بعد التحول الاقتصادي الهائل الناجم عن اكتشاف النفط فيها ، وقيام حضارة اوروبا الحديثة كلها على هذا المورد الطبيعي الهام ، على الرغم من كل ذلك فقد بقيت الكتابات (والكتابات المنصفة خاصة) عن شبه الجزيرة العربية قليلة جدا ، اذا ما قورنت باهمية تلك الاحداث ، وخطورة الصراع العالمي حول خيراتها ، وموقعها الستراتيجي ، وحضارتها العريقة .

ويوضح المؤلفان اهتمامهما بتاريخ الجزيرة : « وكان مما قضاه الله ان نقضي فترة من عمرنا دارسين لتاريخ الجزيرة العربية ، اثنين من ابنائها ، ثم اعطينا « قطر » تلك الامارة الناهضة في شبه الجزيرة ، جزءا غاليا من هذا العمر ، فدرسناها منذ تأسيسها وما صاحب ذلك من احداث ، وما شايعه من هم ، ومن بذل ، ومن صراعات ، ومن عطاء كبير لتأسيس امارة غنية » .

ويلاحظ ان المؤلفين عمدا الى تخلية الكتاب من الحواشي ومن اسماء المصادر والمراجع والدراسات ، لانهما ، كما اوضحنا منذ قليل ، رغبا في التوجه الى جمهرة عريضة من القراء ، قد يحرمها ذكر الهوامش بصورة مستفيضة متعة الاطلاع على التاريخ القطري ، وبالتالي « الاقتراب من بلادهم بالتعرف عليها اكثر واكثر ، والوقوف على اصولها ، والبصر بطرائق الاحداث ومنابع التصورات » .

ولقد حدد الدكتوران المؤلفان الفترة التاريخية التي يتحدث عنها كتابهما ، ما بين ظهور قطر وعام ١٩١٦ ، اي ما بين الفترة التي كانت فيها الامبراطورية البريطانية في اوج عنفوانها ، سيدة على البحار ، « تضرب باخطبوطها الاستعماري في كل زاوية من المعمورة وتبسط نفوذها وتعمقه في كل موقع تتمثل فيه مصالحها ومطامعها » ، والفترة التي كان الشرق العربي يعاني فيها من ويلات الحرب العالمية الاولى ، ويشهد انهيار الدولة العثمانية التي كانت ، ذات يوم ، بلادا لا تغيب الشمس عن ارضها ، فآلت الى حالة « الرجل المريض » الذي تكالبت عليه الادواء ، فانقض عليه الورثة الشرعيون وغير الشرعيين ، قبل ان يسلم النفس الاخير .

ولم يغفل المؤلفان دولا استعمارية اخرى ، مثل المانيا وفرنسا ، كان لعلاقاتها مدا وجزرا مع بريطانيا التأثير الواضح على تاريخ دولة قطر ، خلال الفترة التي يعالجها الكتاب ، فضلا عن الاثرين المعقليين اللذين اسهما في تشكيل دولة قطر ، والآتيين عن الخلافة العثمانية من جهة ، وقيام الدعوة الوهابية ومن ثم المملكة العربية السعودية ، من جهة ثانية .

ويتضمن الكتاب ستة فصول ، تتوالى عناوينها على النحو التالي : الزحف الاستعماري البريطاني ، تبلور القوى القطرية المحلية والانفصال عن البحرين ، محاولات عثمانية في الخليج وفي قطر ، الاستعمار البريطاني يحكم قبضته ، التوقيع على المعاهدة ، الجديد في معاهدة ١٩١٦ .

بعدما يشير المؤلفان ، في الفصل الاول ، الى كون بريطانيا سيدة البحار في القرن التاسع عشر ، والمتربعة على رأس الاستعمار العالمي ، يؤكدان على انها شكلت القوة التي تدخلت بالدور الحاسم لانهاء النزاع الطويل بين القوى القطرية والقوى البحرينية ، وابرام معاهدة ١٨٦٨ التي تعتبر الوثيقة التاريخية الاولى لظهور « قطر » ككيان سياسي مستقل .

ويكشف المؤلفان بعد ذلك عن مستندات السياسة البريطانية للتدخل في الخليج وفرض سلطتها الاستعمارية في تلك المنطقة ، فيلخصانها بثلاثة هي : محاربة القرصنة ، محاربة تجارة الرق ، محاربة تجارة السلاح .

اما محاربة القرصنة فيذكر المؤلفان ان بريطانيا تسترت وراءها لمحاربة القوى المحلية الخليجية التي ناضلت نضال الابطال ، وقاومت مقاومة ضارية في وجه الهجمة الاستعمارية الجديدة العاتية ، ولكن توازن القوى العالمية لـم يكن في صالحها ، فانتهى الامـر بالسيطرة الاستعمارية البريطانية .

ويذهب المؤلفان الى ابعد من ذلك عندما يحللان الواقع التاريخي الاقتصادي والاجتماعي لسكان الخليج ، فيشيران الى ان من المعروف ان سكان الخليج هم ملاحون من ازمان قديمة ، وقد استطاعوا عن طريق الصناعات والفنون البحرية والتجارة والنقل ان يسيطروا على مختلف اوجه النشاط في الخليج حتى بداية القرن التاسع عشر . وفي هذا الوقت دعمت الحكومة البريطانية « شركة الهند الشرقية » التي اخذت على عاتقها مهمة استعمار شبه القارة الهندية ، ومن ثم كان الدخول في صراع ومنافسة مع عرب الخليج وتجاره امرا طبيعيا .

ويستنتج المؤلفان من ذلك ان القضية ، منذ نشاتها ، « انما هي صراع القوى المحلية ضد القوى الاجنبية الوافدة بالغزو والاطماع . وامام الخطر المحدق لم يكن مفر من اللجوء الى السلاح والعنف لوقف سفن شركة الهند الشرقية ، خاصة وقد سبق لابناء الخليج ان استخدموا هذا الاسلوب من قبل في صراعهم ضد البرتغاليين ، ونجحوا في دحرهم واخراجهم من المنطقة » .

ومن الرجوع الى ما قبل ١٨٦٨ ، نواجه ذلك الصراع القوي الذي اشتد بين القوى الخليجية والقوى الاستعمارية الغازية ، حيث كان ١٨٠٦ هو تاريخ ابرام معاهدة بين بريطانيا والقواسم الذين هزموا عند جزيرة « قشم » ، فوافق شيخ القواسم بمقتضاها على ان يعيد ما كان قد سبق له اسره من سفن ، وعلى ان يحترم راية شركة الهند الشرقية وممتلكاتها وموظفيها .

وبقيت الصراعات في كـر وفر بـين بريطانيا وشيوخ القواسم (في راس الخيمة) ، حتى حلول عام ١٨١٩ ، عندما توافرت الظروف على حسم الصراع لصالح بريطانيا ، وهي كما يوضحها المؤلفان : التفكك الداخلي الذي انشب اظفاره في صفوف القواسم وحلفائهم ، وانتهاء الحرب في اوروبا التي خرجت بممتلكات كثيرة في الشرق ، وازدياد الاهتمام الاوروبي بالسيطرة على الطرق المؤدية الى المحيط الهندي ، وتغلب الانجليز في الهند على المقاومة الداخلية ، وقضاء محمد علي في جوف شبه الجزيرة العربية على الدولة الوهابية ، وبذلك « لم يبق امام بريطانيا سوى تلك المقاومة البحرية التي تتاثر قوتها الاساسية نتيجة للتدخل المصري » .

وهكذا قر اجماع الساسة البريطانيين في حكومة الهند على وجوب التدخل العسكري لاعادة رسم خريطة الخليج على نحو يلائم السياسة البريطانية ، وهكذا استقر الراي في نيسان (ابريل) ١٨١٩ على ضرورة تطبيق المبادىء التالية :

١ ـ احترام الاوضاع السياسية الداخلية ، بحيث لا تتدخل بريطانيا لصالح احد الرؤساء الا اذا طلب اليها ذلك ، وحينئذ تؤيد صاحب الحق المشروع .

٢ ـ عدم تشجيع العثمانيين على بسط نفوذهم في منطقة الخليج بعد ان استولت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا على نجد وجميع البلدان التابعة للوهابيين .

٣ ـ وضع اسس لحرية الملاحة في الخليج وحق تفتيش السفن بالاتفاق مع القبائل .

٤ ـ اختيار جزيرة « قشم » مركزا لاقامة قاعدة بريطانية ثابتة .

ولا يتسع المجال لذكر الوحشية التي رافقت الحملات البريطانية بحيث توطد نفوذ التاج البريطاني في المنطقة ، وتوقيع عدد من الهدنات التي اتاحت لبريطانيا التدخل شيئا فشيئا في شؤون الخليج .

اما المستند البريطاني الثاني للتدخل في المنطقة ، وهو محاربة تجارة الرق ، فمن الرجوع الى المعاهدة العامة المعقودة بهذا الشان عام ١٨٢٠ ، نقرا في المادة التاسعة منها ما نصه :

« ان حمل الارقاء من الرجال والنساء والاطفال من سواحل افريقيا او سواها ، ونقلهم في سفن ، يعتبر نهبا وقرصنة ، ولن يقوم العرب الاصدقاء بشيء من هذا القبيل » .

ثم من الرجوع الى الاتفاقية البريطانية الفارسية المعقودة عام ١٨٥١ ، نجد انه بموجبها قد سمح للسفن البريطانية ، ومنها سفن الاسطول الهندي ، بان يكون لها سلطة التفتيش على السفن الفارسية ومصادرة ما يوجد عليها من رقيق ، وتقديم السفن المشتغلة بهذه التجارة الى السلطات الفارسية لتوقيع الجزاء عليها .

واذا ذكرنا ان معاهدات مجمدة ومجددة عقدت ايضا بهذا الصدد ، اتضح لنا ان بريطانيا اتخذت من معاهدتها مع فارس فيما يتعلق بمحاربة تجارة الرق ، فرصة مواتية لاحكام قبضتها على الخليج وعلى الملاحة في مياهه .

وهذه الذريعة هي ذاتها التي حدت بريطانيا على عقد معاهدات واتفاقيات مع الدولة العثمانية من اجل محاربة تجارة الرقيق ظاهريا ، والسيطرة على الخليج في الحقيقة .

ولما عرضت الدولة العثمانية ان تقدم بعض سفنها العربية لمعاونة السفن البريطانية في وقف تجارة الرقيق ، عام ١٨٤٧ ، رفضت بريطانيا ان تتيح للدولة العثمانية فرصة اكتساب هذه المكانة في مياه الخليج ، وظلت تماطل في عقد اتفاقية يسمح بموجبها للطرفين بالتفتيش في مياه الخليج حتى عام ١٨٨١ ، وغني عن البيان ان البريطانيين وحدهم هم الذين انفردوا آنذاك بممارسة حق التفتيش المشار اليه .

ولعل افضل الشواهد التي تؤكد ـ كما يوضح المؤلفان ـ ان غاية بريطانية كانت السيطرة على الخليج والتحكم بمقدراته ، كونها نصت في كل معاهداتها واتفاقياتها حول تجارة الرقيق ، على حق التفتيش ومصادرة السفن التي تمارس نقل الرقيق وهذا ما حصل فعلا بالنسبة للمعاهدات التاليـة :

١ ـ المعاهدة المبرمة مع سلطان عمان عام ١٨٤٥ .

٢ ـ المعاهدة المبرمة عام ١٨٤٧ مع جميع شيوخ الخليج (ما عدا البحرين) .

٣ ـ المعاهدات المبرمة مع الشيوخ المتهادنين عام ١٨٥٦

٤ ـ المعاهدة المبرمة مع البحرين عام ١٨٦١ .

٥ ـ الاتفاقية المبرمة مع جميع شيوخ الخليج ، بما فيهم شيخ البحرين عام ١٨٧٣ .

ويبقى المستند البريطاني الثالث للتدخل في شؤون الخليج ، وهو محاربة تجارة السلاح . وما انطبق على الذريعتين السابقتين لينطبق على هذه الذريعة الثالثة التي لم تظهر نوايا بريطانيا من ورائها ، بشكل سافر ، الا خلال الحرب الافغانية الثالثة (١٨٧٩ ـ ١٨٨٠) اي بعد ان ظهرت دولة قطر ككيان سياسي قائم بذاته ، وسط الكيانات الخليجية الاخرى .

وفي الفصل الثاني يعمد الدكتور عبد العزيز المنصور والدكتورة نوح الخترش الى استعراض مسيرة القوى المحلية في قطر ، من حلول العتوب القادمين من نجد في ظل قبيلة آل مسلم في قطر ، ثم تشكيلهم خطرا على آل مسلم الذين شعروا بان النزاع بينهم وبين آل الصباح وآل الخليفة (الاسرتين العتبيتين المتحدتين) واقع لا محالة ، فهاجر العتوب الى راس تنورة في الاحساء ، فتبعهم آل مسلم ليحطموا قواهم ، فانتقل العتوب الى « جون الكويت » ، حيث اسسوا مدينة الكويت ، وكان لآل الصباح فيها ادارة الحكم ، وكان لآل خليفة ادارة شؤون التجارة ، واما الجلاهمة فلهم ادارة شؤون البحر . وكانت سلطة الحكم لصباح الاول منذ ١٧٥٢ ثم لابنه عبدالله الحاكم الثاني للكويت منذ ١٧٦٤ ، وفي عهده هاجر آل خليفة الى قطر عام ١٧٦٦ .

ويورد المؤلفان بعد ذلك ، روايات كثيرة في تفسير العوامل الكامنة وراء الهجرة ، دون ان يرجحا رواية على اخرى ، لكنهما يشيران بالتفصيل الى تأسيس آل خليفة لمدينة الزبارة ، ثم اتجاههم الى البحرين ، اذ قامت القبائل العتبية عام ۱۷۸۳ بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر ، وبمساعدة عتوب الكويت ، وباتحاد قبائل قطر المختلفة (ومنها آل مسلم في الحويلة) وآل بني علي من الفويرط ، وآل سودان من الدوحة ، والمنانعة من ابو ظلوف ، والسادة من داخل قطر ، فاجتمعت وتحالفت وحاصرت البحرين لمدة قاربت الشهرين ، فتم لهم فتح البحرين في ۲۹ تموز (يوليو) ۱۷۸۳ ، حيث أصبح الحكم فيها عربيا للمرة الاولى ، وما يزال كذلك حتى اليوم .

ويتحدث المؤلفان عن الحرب الاهلية التي نشبت بعد ذلك ، وانتهت بانفصال قطر من البحرين ، وتنازع الشيوخ فيما بينهم ، واخيرا توقيع « معاهدة الصداقة والاستقلال » في ۳۱ ايار (مايو) ۱۸٦۱ ، باشراف بريطانيا ، وعقدت معاهدات بريطانية اخرى مع الكيانات الخليجية حتى كان ۱۲ ايلول (سبتمبر) عام ۱۸٦۸ حيث وقع الشيخ محمد بن ثاني والكولونيل بيللي المعتمد البريطاني معاهدة ادخلت قطر ، ولاول مرة ، طرفا قائما بذاته في المهادنات البحرية . وقد نصت هذه المعاهدة على « ان يقيم آل ثاني في سلام ، في الدوحة ، والا يرتكبوا اي عمل عدواني في البحر ، وان يحيلوا خلافاتهم ومنازعاتهم او التي تنشب بينهم وبين جيرانهم الى السلطات البريطانية ، وان يقيموا مع شيخ البحرين الجديد نفس العلاقات الودية التي كانت قائمة مع آل خليفة ، وان يدفعوا الخراج الذي كان يدفعه شيخ البحرين ، باسم قطر ، لامير الوهابيين » .

وبذلك برز كيان قطر المستقل ، لاول مرة في تاريخها ، في ظل صدام ادى الى قتال ضار بين القطريين والبحرينيين ، وبرعاية زحف بريطاني استعماري متحفز للاستيلاء على كافة الشؤون الخليجية .

ثم يحدثنا المؤلفان في الفصلين الثالث والرابع من كتابهما « نشوء قطر وتطورها » عن المحاولات العثمانية في الخليج ، وفي قطر بصورة خاصة ، وعن الاستعمار البريطاني الذي احكم قبضته متوسلا الى ذلك كافة السياسات والاساليب ، والجدير بالذكر هنا ان اللورد لانزدون حدد في عام ۱۹۰٥ السياسة البريطانية في تلك المنطقة بقوله :

« ان حجر الزاوية في سياستنا في الخليج العربي هو انه ، وفي نفس الوقت الذي نعادي فيه فتح منفذ للتجارة الدولية ، والذي نعلن فيه انه ليست لدينا اي رغبة في تحويله الى بحيرة انجليزية — الا انه ينبغي علينا ان نقاوم الى اقصى حد اي محاولة من جانب الدول الاخرى للحصول على موضع قدم على سواحله للاغراض البحرية او العسكرية ، وسوف نواصل السير على هذه السياسة ، لا من اجل اتفاقيات غامضة مع الشيوخ المحليين ، وانما لتصبح القوة المسيطرة في جنوب فارس وفي الخليج العربي »

ويتضح لنا مدى احكام القبضة البريطانية على الخليج ، من العودة الى الوقائع التي تلت نشوب الحرب العالمية الاولى ، اذ ازداد اهتمام بريطانيا بتامين مصالحها في المنطقة ، وخشي ابن سعود ان تلجأ بريطانيا الى احتلال موانىء نجد والاحساء ، وفي ۲٦ كانون الاول (ديسمبر) ۱۹۱٥ انعقد في « العجير » اجتماع بين ابن سعود والسير برسي كوكس ، تمخض عما يعرف باسم « معاهدة القطيف » ، وفيها يتعهد ابن سعود بموجب المادة السادسة ان يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في اراضي الكويت والبحرين واراضي شيوخ قطر .

وبهذه المعاهدة ، اكدت بريطانيا هيمنتها ، واستطاعت تغيير وضع قطر وتحويلها الى محمية بريطانية ، حتى قبل ان تعلن بريطانيا رسميا حمايتها لها .

وبانتهاء الحرب العالمية الاولى عام ۱۹۱۸ ، تمنح حكومة بريطانية شيخ قطر لقبا يميزه عن شيوخ الساحل العماني ، بنتيجة العلاقات الطيبة التي كانت تربطه ببريطانيا خلال الحرب .

عند هذه المرحلة من تاريخ قطر ، يقف كتاب الدكتورين عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش ، والمرجو ان يليه جزء آخر يتحدث عن قطر الدولة العربية المستقلة ، ذات النشاط الاقتصادي والسياسي الملموس على الصعيدين العربي والدولي ، وبذلك يسدي المؤلفان الصديقان خدمة تاريخية هامة للمنطقة العربية الاصيلة في التاريخ العربي ، لا سيما وهما استاذان جامعيان متخصصان في التاريخ الخليجي ، ومفكران عاملان في ميادين الثقافة المعاصرة ، بما نعرفه عنهما من نشاط ، وهمة ، وامانة علمية تضعهما في مصاف بناة النهضة المعاصرة في منطقة الخليج العربي .

فوزي عطوي

* * *

البـــــاب

تأليف نبيل نعوم جورجي — ۱۲۸ صفحة — منشورات جماعة الرواية الجديدة في القاهرة

(ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك) « المسيح » .

هذه الآية هي مدخل صادق لرواية الباب فاعتقادي الكبير ان المؤلف نبيل نعوم قد استلهم من هذه الروحانية الدينية والتي تشبهني بروحانية ادب المهجر .. حتى اني اردت ان اربط بين المؤلف وبين رواد ادب المهجر وعموما فالكاتب نبيل نعوم جورجي كتب هذه الرواية المبدعة في مهجره بنيويورك « أمريكا » عام ۱۹۷٦ ومن هنا يذهب بنا الكاتب الى هذا الطريق الجديد في الرواية الجديدة وفي الواقع ان الرواية عموما حيرت الكثير من النقاد ففي الادب العربي حينما جاءنا الدكتور حسين هيكل بروايته زينب وهي تاريخيا من اوائل الروايات المصرية انما جاءنا بنوع من التسجيل الصادق ليوميات الريف التي اشتاق اليها في باريس ثم جاءنا الدكتور طه حسين بفكرة الواعي الرزين ثم رائد الرواية العربية نجيب محفوظ بشخصيته العملاقة التي حددت بل واثرت الكثير من فكر القاصين ثم ابراهيم المصري بشخصية مميزة ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس وفي السودان الطيب صالح وفي القصة القصيرة حينما نجد الادب العربي ميخائيل نعيمه بفكرة الواعي انما هو قد رسم طريقا عميقا للرواية القصيرة ومعه في مصر محمود تيمور الى ان تربع معهما على عرش القصة القصيرة دكتور يوسف ادريس ويوسف الشاروني ثم بعده ادوار الخراط والذي حقق نجاحا كبيرا في تركيزه القصصي الضخم وكذلك جورج سالم وجورج شحاده الذي كتب الادب الفرنسي وهاني الراهب وجبرا ابراهيم جبرا وكوليت خوري وعبد السلام العجيلي وغيرهم من الكتـــاب .

فبعد هذا لم يكن يتوقع احد ان ينبغ ادباء جدد بعد هؤلاء العمالقة الذين رسموا طرقا يكاد لا يرى البعض سواها ... الا ان هؤلاء الادباء الجدد انما اتوا بذكاء شبابهم وقوة تجاربهم المتزنة بطرق جديدة مفاجئة حيرت كثيرا من النقاد مثلما حيرهم ذلك الشعر الحديث .

ولعلي لا اطيل فقد اتيت بهذا الاستطراد فقط للتعرف على هذه الرواية وخاصة ان المؤلف حرص على ان يواجهنا منذ الغلاف بانها تنتمي الى جماعة الرواية الجديدة وفي هذا نوع من التحديد لدى القارىء فهو يبحث دائما على ذلك الجديد في الرواية وقد نبغ ذكاء الكاتب في استلهامه للروحانيات الدينية ... ثم بعد ذلك استعان بالتراث والذي ضل فيه الكثيرون ، لكنه بذكاء .. استطاع ان يأتي بذلك التراث وينسجه مع الادب الجديد في نسيج يأتينا بارق انتاج ... وهو ما نبحث عنه ونفتقده في الادب الجديد الذي لا ينفصل ابدا عن القديم .

ففي صفحة (٧٧) مثلا ياتينا الروائي نبيل نعوم باقتباس من الشعر الفرعوني فيقول :

« ان رايت الحظ يا حبيبي قادما في طريقك فدعه يمر دون ان تستوقفه ... الخ »

انه يشبهني بعشق الكاتب العملاق سلامة موسى للتراث الفرعوني

... لقد حقق الكاتب بهذه الرواية نجاحا عملاقا اثبت فيه فعلا انها رواية جديدة فليست العبرة بالكمية والسباق في زحام الاعلانات والشهرة ولكن الادب الصادق هو ذلك التجديد المستمر الذي رايناه في مثل هذه الرواية التي اعتقد ان اتزان الكاتب في الكلمة واحترامه للغة والمضمون والقارىء قد غطى على اغلب السلبيات التي تلوث الكثير من الادب .

حقا انه باب ضخم رغم ضيقه كما يقصد الكاتب ذو الشاعرية الملهمة ... ولعل هذا الباب يكون مدخلا لادب جديد حقا خلال « جماعة الرواية الجديدة » .

القاهرة **نادر ناشد**

* * *

الموسوعة الموجزة

حرف الخاء — تاليف حسان بدر الدين الكاتب — المجلد الثاني — العدد السابع — مطابع الف باء — الاديب — دمشق

استلمت العدد السابع من الموسوعة الموجزة « حرف الخاء » للاديب الاستاذ « حسان الكاتب » واعجبت اشد الاعجاب بقدرة هذا الاديب على القيام وبمفرده بهذا العمل الجبار وهو ليس اكثر من موظف في دوائر الدولة .فهو ليس مؤسسة حكومية ولا صاحب املاك ولا تاجر حرب ... انما هو انسان يحب الكلمة ويضحي بوقته وراحته ولقمة عيشه ليقدم للمكتبة العربية موسوعاته الموجزة ، الى جانب ما يخطه بقلمه المرهف من دراسات ومقالات وتعليقات وابحاث في اكثر الدوريات الشهرية الادبية الى جانب الوقت الذي يقضيه في مراسلة ادباء العربية قاصيهم ودانيهم فلقد اخذ محبة الادب عن والده الاستاذ « بدر الدين الكاتب » وشقيقه الاستاذ « مروان » وخاض بصعوبة هذا المركب الصعب فضحى بالوقت واللهو والمال وانجز ما انجز بصبر نافذ ... على الاخص بعد ازدياد ثمن الورق وغلاء الطباعة . لهذا ارى ان الاستاذ الكاتب هو الاديب الفدائي . يضحي على مذبح الادب لا يهمه الوقت ولا المال ... وانما يهمه العطاء والاتصال بحبيبته الغالية الصعبة المنال ... وهل هنالك اجمل وانقى من محبة الادب ؟ ... وهل هنالك اجمل من هذه الحبيبة النظيفة ، الشريفة ، اللبقة ، التي يضحي الانسان من اجلها بكل شيء ؟ ... وهل للمال والوقت قيمة امام الاشعاع العبقري النابض الذي يستاثر بالقلوب الحية النابضة ؟ ...

لقد ضممت العدد السابع من الموسوعة الموجزة الى مكتبتي وانا احس بفخر لهذه الموسوعة الفخمة التي تعتبر رصيدا ثمينا مع ما تحويه مكتبتي العامرة من كتب ادبية مرموقة . تصفحتها فاذا بها تحتوي على ما يشاء القارىء من معلومات ضمن حرف الخاء واهم هذه المعلومات ما يختص بالادب والادباء ومن هذه المعلومات ترجمة مختصرة لحياة بعض الادباء مع صورهم من امثال خليل مطران ، خليل شيبوب — خليل هنداوي — خليل مردم بك — خليل سكاكيني ، خضر عباس الصالحي وغيرهم من مات منهم ومن لا يزال على قيد الحياة . وفي ذلك فائدة لادباء العربية والوطن العربي .

ان المشقات التي يمر بها هذا الاديب اكثر من صعبة . ومع ذلك فهو يجتازها بصمت وهدوء فهو يكتب ويؤرخ ويراسل ويعيش الادب كما يجب ان يعيشه الوجداني الصلب العقيدة . انه لا يعيش من اجل ان ياكل فقط او من اجل ان يتثاءب ببطء ليقبض راتبه في آخر الشهر ... لهذا تراني اشد على يد صديقي الاديب مهنئا ... راجيا له التقدم الدائم .. في هذه الطريق الصعبة التي اختارها . آملا أن يصدر ما تبقى من موسوعاته الادبية فيضيف الى المكتبة العربية عملا يحتاجه كل مراجع وطالب ومفكر . وآمل ايضا ان يحصل على مساعدات مادية ومعنوية في اعماله ... ليتمكن من الاستمرار في انجاز هذا المشروع الضخم .

اللاذقية **رياض نصور**

* * *

١ — ازاهير من الشعر العالمي

ترجمة علي الحلي — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ١٣٤ صفحة — دار الحرية للطباعة — بغداد

بالاضافة الى عمله كشاعر مبدع فقد ظل الاستاذ علي الحلي طوال عشرين عاما يقوم بترجمة قصائد اربعين شاعرا من عشرة اقطار اجنبية دون التشبث بمدرسة شعرية واحدة او الاختصار على نمط معين .

تضم المجموعة ثماني واربعين قصيدة اهداها الى الشعراء الاوفياء.

في مقدمة القصائد نبذة عن حياة كل شاعر بايجاز .. من قصيدة للشاعر الايرلندي « جيمس جويس » والتي بعنوان « اغنية » يقول :

تماوج خارج النافذة
ايها الشعر الذهبي الجميل
ويا ايها النسيم النشوان العليل
ها .. انا اسمعك .. تغني !

٢ — الهجرة الى الداخل

شعر صلاح نيازي — منشورات وزارة الاعلام العراقية — ١٠٤ صفحات — دار الحرية للطباعة — بغداد

عندما يقترب الشاعر فانه يحس بحنين الى وطنه يتذكر فيه ايام صباه وملاعبه وصلاح نيازي شاعر الاغتراب فهو يتمنى الهجرة الى داخل وطنه بعد غربة عشرين عاما قضاها في لندن .. ان شعره فيه حلاوة تشعرك بالراحة عند الملاعبة الفولكلورية والوصف النابض بالحياة استمع اليه يقول في قصيدته « ضياع رومانتيكي » منها :

عشرون عاما اشتري بضائعي بالدين
ابيعها بالدين
انطفات اضوية البيوت
فلاقفل الحانوت

الكوت — العراق **كاظم محمد حسين**